من بدائع القرآن
الاستطراد للتنويه بالأهم من جنس المهم

د. عبد العزيز بن محمد السحيباني
قسم القرآن وعلومه ـ كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

من بدائع القرآن الاستطراد للتنويه بالأهم من جنس المهم

د. عبد العزيز بن محمد السحيباني
قسم القرآن وعلومه. كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى زيادة تأصيل نوع من أنواع بدائع القرآن هو الاستطراد، بذكر شواهد لوجه من وجوهه، لم يتناوله المتقدمون.

وهذا الوجه يكشف عن وجه بديع من التناسب بين الآيات وبين الجمل.

والاستطراد هو ضرب من البديع الذي عده المصنفون في علوم القرآن من أفانينه.

وهو في اللغة:الخروج من شيء، لغرض ما، يتصل به، ثم العود لذلك الشيء الذي خرج منه. ويعد هذا المعنى اللغوي أصلا للاستطراد الاصطلاحي، وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، ثم الرجوع إلى المعنى الأول.

والاستطراد أنواع، والذي وقفت عليه منها ستة، أهمها النوع السادس، وهو موضوع هذا البحث، وهو نوع يرى الباحث أنه جديد في مبناه ومعناه .

وهناك ثلاثة أنواع من البديع تقارب الاستطراد في معناه، وهي : حسن التخلص، والاعتراض، والإدماج . وتم تحرير الفرق بينها وبين الاستطراد.

تبين لي أن أكثر المفسرين عناية بالاستطراد سبعة : الزمخشري، وأبو حيان، وأبو السعود، وشهاب الدين الخفاجي، والألوسي، ومحمد عزة دروزة، والطاهر ابن عاشور. وأكثر هؤلاء السبعة عناية بالاستطراد هم : الألوسي، وابن عاشور، ومحمد دروزة.

وقفت على أربعة عشر شاهدا من القرآن، تدل على نوع من الاستطراد، لعله جديد، في ثوبه ومضمونه، وسميته: "الاستطراد، للتنويه بالأهم من جنس المهم في القرآن الكريم"، وجعلته عنوانا للبحث.

المقدمة

الحمد لله الذي مَنَّ على المؤمنين بالقرآن العظيم، وجعله لهم حجة، وأبان لهم به المحجَّة، أحمده حمد من اتبع طريقه ونهجه، وأصلي وأسلم على نبيه الكريم، المبعوث بالآيات البينات ؛ رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الذين شادوا الدين ورفعوا لواءه في العالمين. أما بعد:

فإن من أجل ما ينتفع به المرء في دينه ودنياه وأخراه – الاشتغال بكلام الله، تلاوة وحفظاً ومدارسة وعملاً. ومن الجوانب التي ينبغي أن يُعنى بها علومه، التي تعد من دلائل إعجازه، لاسيما تلك المتعلقة ببلاغته، والتي سماها بعضهم "بدائع القرآن".

فمن هذه البدائع: الاستطراد، وهو أنواع، ومنها نوع، يمكن أن يطلق عليه:

الاستطراد للتنويه بالأهم من جنس المهم.

وقد وقفت على آيات في مواضع عدة من القرآن تشهد لهذا النوع، فأردت أن أجمعها– مبينا وجه الدلالة فيها – في بحث يؤصِّل لهذا البديع من علوم القرآن.

أهمية البحث وأسباب اختياره :

"–أنه يبرز علما من علوم القرآن، ويزيد في تأصيله.

"–أنه يؤكد على روعة البيان القرآني ويكشف عن وجه بديع من وجوه تناسب آياته وجمله.

–أنه يضيف إلى مكتبة الدراسات القرآنية بحثا في موضوع تشح مصادره.

أهداف الموضوع :

–زيادة تأصيل نوع من أنواع بدائع القرآن، بذكر شواهد له لم يتناولها المتقدمون.

–الكشف عن وجه بديع من التناسب بين الآيات وبين الجمل.

الدراسات السابقة:

لم أقف على بحث للمعاصرين بهذا الصدد.

أما المتقدمون، فإنهم صنفان:

صنف ذكروه ضمن علوم البلاغة، وذكروا له شواهد، ومعظمها من الشعر، وأما شواهد القرآن؛ فهي قليلة.

وصنف آخر تناولوا الاستطراد في القرآن، وهم المفسرون، ومنهم المكثر، ومنهم المقل، كما سيأتي.

لكن هذا البحث يتناول نوعا من الاستطراد، لعله جديد في ثوبه، ومعظم الشواهد التي أوردتها له كانت محض اجتهاد، فإن تكن صوابا؛ فالحمد لله، له الفضل والمنة أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، وإن تكن الأخرى؛ فأسأله العفو والمغفرة، كما أسأله رحمة يدلني بها على الصواب ويجنبني الزلل .

خطة البحث

المقدمة

تمهيد أتناول فيه صلة الموضوع بعلوم القرآن ومن تحدث عنه من المصنفين.

المبحث الأول : تعريف الاستطراد لغة واصطلاحا

المبحث الثاني: أنواع الاستطراد والفرق بينه وبين ما يقاربه من أنواع البديع

المبحث الثالث: الاستطراد في كتب التفسير

المبحث الرابع: الاستطراد للتنويه بالأهم من جنس المهم في القرآن الكريم.

منهج البحث

-سلوك المنهج التحليلي والموضوعي في دراسة الآيات.

-عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.

-تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث مع الحرص على بيان درجة الحديث.

-سلوك المنهج العلمي في توثيق النصوص بعزوها لقائليها من كتبهم مباشرة، إلا مع تعذر الأصل.

-شرح غريب الألفاظ من المعاجم اللغوية وكتب غريب القرآن.

وفي الختام أحمد الله تعالى حمد كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ويرضى على نعمه التي لا تحصى، وأشكره شكرا كثيرا لا ينتهي على ما من به علي، فأعانني على إنجاز هذا البحث، وما فتح لي فيه، وأسأله جل وعلا أن يغفر لي زللي وخطأي، وكل ذلك عندي.

كما أشكر كل من أعانني على إتمام هذا البحث، وتسديده، من قريب أو بعيد، والله يتولانا جميعا بواسع رحمته، ويوفقنا إلى أسباب مرضاته، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

تمهيد

صلة الاستطراد بعلوم القرآن ومن تحدث عنه من المصنفين

من المعلوم أن علوم البلاغة ثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع.

أما علم المعاني : فهو قواعد يعرف بها أحوال اللفظ العربي التي يطابق بها مقتضى الحال، وهو يبحث في الجمل الإنشائية والطلبية وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف، أو إيجاز وإطناب ومساواة، أو تعريف وتنكير، أو فصل ووصل، أو قصر وخلافه [١].

وأما علم البيان : فهو مصطلح بلاغي، إذا أطلق عني به البلاغة؛ فشمل المعاني والبديع. ويقصد به المعنى الخاص، وهو إيراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة في وضوح الدلالة على المعنى المراد، بأن تكون دلالة بعضها أجلى من بعض. ومن موضوعاته : المجاز، والتشبيه، والكناية [٢].

وأما علم البديع : فهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة [٣].

وهو قسمان : لفظي، كالتجنيس بأنواعه. ومعنوي، كالمطابقة، والمشاكلة، واللف والنشر، والاستطراد وغيرها [٤].

وعليه فالاستطراد ضرب من البديع؛ كما نص على ذلك غير واحد من علماء البلاغة[٥].

---

(١) انظر الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ص١٤،١٥، ومعجم البلاغة العربية للدكتور بدوي طبانة ص٤٥٨، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها للدكتور أحمد مطلوب ص٦٣١.

(٢) انظر الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ص٢٠٢، ومعجم البلاغة العربية لبدوي طبانة ص١٠٠،١٠١.

(٣) الإيضاح للخطيب القزويني ص٣٠٠.

(٤) انظر مفتاح العلوم للسكاكي ص٥٣٢-٥٣٤، والإيضاح للخطيب القزويني ص٣٠٠ وما بعدها.

(٥) انظر على سبيل المثال:الصناعتين: الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري ص٣٩٨، والعمدة في محاسن الشعر لأبي علي الحسن القيرواني ٢/ ٣٩، وزهر الآداب وثمر الألباب ٤/ ١٠٨٦ لأبي إسحاق

ولما كان القرآن مشتملا على الاستطراد، عده من صنفوا في علوم القرآن من أفانينه.

وهم على ضربين:

الضرب الأول: من صنفوا في علوم القرآن، مستقصين لأنواعه.

منهم: بدر الدين الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن، حيث ذكر الاستطراد في موضعين:

الأول : ذكره في النوع الثاني من علوم القرآن، وهو: معرفة المناسبات بين الآيات، حيث جعله من أسباب اتصال الآيات، التي لا تكون معطوفة على بعضها، فقال بعد ذكر السببين: الأول، والثاني – :" الثالث:الاستطراد، كقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ **الأعراف: ٢٦.**

قال الزمخشري: هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد، عقب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليها، إظهارا للمنة فيما خلق الله من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعارا بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى" اهـ [1].

الثاني: ذكره في النوع السادس والأربعين من أنواع علوم القرآن، وهو نوع تناول فيه أساليب القرآن وفنونه البليغة، وعد منها الاستطراد، حيث قال:" الاستطراد: وهو التعريض بعيب إنسان بذكر عيب غيره، كقوله تعالى: ﴿ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ ﴾ **إبراهيم: ٤٥**. وكقوله: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴾ **فصلت: ١٣**. وقوله: ﴿ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴾ **هود: ٩٥** " اهـ [2].

القيرواني، البديع في نقد الشعر لأبي المظفر الكناني ص٧٥، وتحرير التحبير لابن أبي الأصبع العدواني ص١٣٠، والطراز ليحي العلوي ٨/٣.

(١) البرهان في علوم القرآن ٤٩/١.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣٠٠/٣.

ومنهم: جلال الدين السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن، حيث عد الاستطراد من بدائع القرآن، وهو النوع الثامن والخمسون من علوم القرآن [1].

وذكر أنه سيتناوله بالبيان عند حديثه عن تناسب الآيات والسور، وهو النوع الثاني والستون.

وما ذكره مطابق لما قاله الزركشي، من جعل الاستطراد من أسباب اتصال الآيات، التي لا تكون معطوفة على بعضها، وكذلك استشهاده بآية الأعراف وكلام الزمخشري عنها.

وزاد، فمثَّل له أيضا بقوله تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ **النساء: ١٧٢**، وقال بأن أول الكلام ذكر للرد على النصارى الزاعمين نبوة المسيح، ثم استطرد للرد على العرب الزاعمين بنوة الملائكة [2].

وفي موضع آخر – عند حديثه عن آيات أشكلت مناسبتها لما قبلها– جعل قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ **البقرة: ١٨٩** من باب الاستطراد، وعلل ذلك؛ بأنه لما ذكر أن الأهلة مواقيت للحج، وكان إتيان البيوت من ظهورها من أفعالهم الجاهلية في الحج– كما ثبت في سبب نزولها – ذكر معه حكم صنيعهم هذا، من باب الزيادة في الجواب على ما في السؤال؛ كما سئل صلى الله عليه وسلم عن ماء البحر، فقال: (**هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ**) [3] [4].

الضرب الثاني: من صنفوا في علم من علوم القرآن، وهو: إعجاز القرآن.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٢٨٥.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٣٧٣.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ٢١/١ – كتاب الطهارة – باب الوضوء بماء البحر– حديث رقم ٨٣، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه الألباني في إرواء الغليل ٤٢/١.

(٤) انظر: الإتقان ٣/ ٣٧٨.

ومنهم: أبو بكر الباقلاني في كتابه: إعجاز القرآن، حيث قال:".. وباب من البديع يسمى الاستطراد"، ومثَّل له بعدة أبيات من الشعر، ثم قال:" ونظيره من القرآن: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ النحل: ٤٨ – ٤٩ ؛ كأنه كان المراد من أن يجرى بالقول الأول إلى الإخبار عن أن كل شيء يسجد لله عز وجل، وإن كان ابتداء الكلام في أمر خاص" اهـ [1].

ومنهم: جلال الدين السيوطي في كتابه: معترك الأقران في إعجاز القرآن، حيث ذكر الاستطراد، ومثَّل له، وقال بمثل ما قال في كتابه الإتقان [2].

* * *

(١) إعجاز القرآن ص١٠٣. وقد نقل الزركشي هذا الكلام عن الباقلاني، ثم قال:"وفيه نظر". البرهان ٥٠/١. وعقب عليه الدكتور عبد العظيم المطعني، فقال:" لكنه لم يبين وجه النظر المخالف، ولعله أراد أن بين الآيتين ارتباطاً ظاهراً، وليستا من قبيل الاستطراد. فإن كانت هذه وجهة نظر الزركشي فنحن معه" اهـ. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٤٩٧/١.

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن ٤٦/١.

المبحث الأول

تعريف الاستطراد لغة واصطلاحا

أتناول في هذا المبحث تعريف الاستطراد لغة واصطلاحا، مع بيان وجه الصلة بين التعريفين.

أما **الاستطراد لغة:** فهو لفظ مزيد، يعود أصله إلى ثلاثة أحرف: الطاء، والراء، والدال. وهذا الأصل يرجع معناه إلى الإبعاد.

قال ابن فارس: "الطاء والراء والدال أصل واحد صحيح يدل على إبعاد. يقال: طَرَدْتُهُ طَرْدًا. وَأَطْرَدَهُ السُّلْطَانُ وَطَرَّدَه، إذا أخرجه عن بلده. والطرد: معالجة أخذ الصيد. والطريدة: الصيد. ومطاردة الأقران: حمل بعضهم على بعض ؛ وقيل ذلك؛ لأن هذا يطرد ذاك. ويقال: اطرد الشيء اطرادا، إذا تابع بعضه بعضا، وإنما قيل ذلك؛ تشبيها، كأن الأول يطرد الثاني. واطرد الأمر: استقام. وكل شيء امتد فهذا قياسه. يقال: طرد سوطك: مدده. والطريد: الذي يولد بعد أخيه، فالثاني طريد الأول. وهذا تشبيه، كأنه طرده وتبعه" اهـ [1].

"ومن هذا الباب قولهم: طرَدَت الأشياءُ: إذا تَبِع بعضُها بَعْضًا. واطّرد الكلامُ: إذا تَتَابع. واطّرَد الماءُ: إذا تَتابَع سَيَلانهُ. والريح تطرد الحصا والجولان على وجه الأرض، وهو عصفها وذهابها بها. والليل والنهار طريدان، كل واحد منهما طريد صاحبه [2].

"وأما اللفظ المزيد "استطرد" فهو لا يخرج عن هذا المعنى، فمن ذلك قولهم: الفارس يستطرد؛ ليحمل عليه قِرْنُه، ثم يكر عليه، وذلك أنه يتحيز في استطراده إلى فئته، وهو ينتهز الفرصة؛ لمطاردته. ذكره الأزهري [3].

---

(١) مقاييس اللغة ٣/ ٤٥٥، مادة: "طرد"، باختصار.

(٢) انظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٣/ ٢١٣، مادة: "طرد"، والصحاح للجوهري ٢/ ٥٠٢، مادة: "طرد".

(٣) تهذيب اللغة للأزهري ١٣/ ٢١٢.

"وهو يشير إلى ما جاء في تفسير قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ الأنفال: ١٥ – ١٦؛ فقد قال سعيد بن جبير في تفسير قوله: إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ : يعني مستطردا، يريد الكرة على المشركين [١].

"وقال السدي: إلا مستطرداً، يريد العودة [٢].

وقال الطبري:" إلا مستطردًا لقتال عدوه، يطلب عورةً له، يمكنه إصابتها؛ فيكرّ عليه"[٣].

"وقال سعيد بن جبير في قوله: أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ، يعني: أو ينحاز إلى أصحابه من غير هزيمة[٤].

"وقال الضحاك: المتحيز: الفار إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وكذلك من فرّ اليوم إلى أميره أو أصحابه[٥].

فالآية حرمت الفرار من العدو عند الزحف، إلا في صورتين: التحرف لقتال، والتحيز إلى فئة.

فالمتحرف والمتحيز كلاهما كانا في المعركة، كل واحد منهما يقاتل عدوه، ثم خرج منها، وفر فرارا مأذونا فيه، ثم عاد ودخل في القتال مرة أخرى؛ ليكر على عدوه.

وتسمية المفسرين وأهل اللغة للواحد منهما مستطردا، لأنه خادَع عدوه بالانهزام؛ فصار في الظاهر طريدا له.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٧٠.

(٢) تفسير الطبري ١٣/ ٤٣٦، وانظر تفسير ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٧٠.

(٣) تفسير الطبري ١٣/ ٤٣٥.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٧٠.

(٥) تفسير الطبري ١٣/ ٤٣٥.

قال صاحب خزانة الأدب:" الاستطراد في اللغة، مصدر استطرد الفارس من قِرْنه في الحرب، وذلك أن يفر من بين يديه؛ يوهمه الانهزام، ثم يعطف عليه على غرة منه، وهو ضرب من المكيدة" اهـ [1].

وعليه **فالاستطراد في اللغة**: الخروج من شيء؛ لغرض ما، يتصل به، ثم العود لذلك الشيء الذي خرج منه.

ويعد هذا المعنى اللغوي أصلا للاستطراد الاصطلاحي، كما سيأتي.

الاستطراد اصطلاحا:

الناظر في تعريف العلماء للاستطراد – كفن من فنون البديع – يلحظ اختلافهم في ضبطه، لكنهم يتفقون في جملتهم على أن تعريف الاستطراد في الاصطلاح مبني على أصله اللغوي.

فقد عرفه أبو هلال العسكري بقوله:" هو أن يأخذ المتكلّم في معنى، فبينا يمرّ فيه يأخذ في معنى آخر، وقد جعل الأول سببا إليه".

وضرب له بأمثلة من الشعر، منها قول السموأل :

وإنا أناس لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول

وقال: فقوله:"إذا ما رأته عامر وسلول" استطراد [2].

ولم يشترط العسكري في هذا التعريف لزوم الرجوع إلى المعنى الأول بعد الخروج منه.

ولذا قال بعدها:"وهذا الباب يقرب من باب حسن الخروج "[3].

---

(١) خزانة الأدب ١٠٢/١. وقد عد أبو منصور الثعالبي الاستطراد من مصطلحات المقاتَلة، حيث قال:" الاستطراد: أن ينهزم القِرْن من قِرْنه، كأنه يتحيز إلى فئة، ثم يكر عليه وينتهز الفرصة، لمطاردته". فقه اللغة وسر العربية ص٢١٦.

(٢) الصناعتين: الكتابة والشعر ص ٣٩٨.

(٣) المصدر السابق.

لكن يشكل أن البيت – الذي استشهد به – تلاه أبيات تدل على أن الشاعر عاد للفخر الذي بدأ به.

وهذا التعريف منه لأحد أنواعه؛ لأن العسكري يرى أن الاستطراد أضرب.

ولذا قال بعد ذلك: "ومن الاستطراد ضرب آخر، وهو: أن يجيء بكلام يظن أنه يبدأ فيه بزهد وهو يريد غير ذلك.

كقول الشاعر:

يـــا مـــن تـــشاغل بالطّلـــل أقـــصر فقـــد قـــرب الأجـــل

واصـــل غبوقـــك بالـــصّبو ح وعـــدّ عـــن وصـــف الملـــل" [1].

لكن يلاحظ أن العسكري في تعريف الضرب الأول نبه إلى لزوم التناسب بين المعنيين؛ بقوله: ".. وقد جعل الأول سببا إليه"، أي: طريقا إليه.

وأيضا يلاحظ في الضرب الثاني أنه مماثل للمعنى اللغوي للاستطراد؛ من حيث إن المستطرد يخادع خصمه في استطراده.

وممن عرف الاستطراد، ولم يشترط الرجوع للمعنى الأول صاحب الإيضاح؛ فقد عرفه بأنه: الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، لم يُقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني[2].

وإذا كان العسكري لم يصرح بأن الاستطراد في الاصطلاح مبناه على المعنى اللغوي، فقد صرح به غيره.

منهم: أبو إسحاق الحُصْري القيرواني، وعلل ذلك بأن الفارس يظهر أنه يستطرد؛ لشيء، ويبطن غيره؛ فيكرّ عليه. وكذلك هذا الشاعر يظهر أنه يذهب؛ لمعنى، فيعن له آخر؛ فيأتي به، كأنه على غير قصد، وعليه بناه، وإليه كان مغزاه.

وذكر له شواهد من الشعر، منها قول جرير:

---

(١) الصناعتين: الكتابة والشعر ص ٤٠٠.

(٢) بغية الإيضاح ٤/ ٥٩١.

لما وضعت على الفرزدق ميسمي وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل

فقد استطرد في بيت واحد، فهجا فيه ثلاثة [1].

ومنهم صاحب الطراز؛ فقد ذكر أنه مشتق من قولهم: أطرده السلطان، إذا أخرجه من بلده، لأن المتكلم يخرج من كلامه إلى كلام آخر.

أو يكون اشتقاقه من الاتساق؛ لأن المتكلم يرجع من كلامه الذي أدخله على كلامه الأول وينسقه عليه؛ فيتلاءم، ويتسق. فيمكن تقرير اشتقاقه على هذين الوجهين [2].

ومنهم المناوي؛ حيث قال:"استطرد له في الحرب: فر منه؛ كيدا، ثم كر عليه، فكأنه اجتذبه من موضعه الذي لا يتمكن منه إلى موضع يتمكن منه. ووقع ذلك على وجه الاستطراد مأخوذ من ذلك، وهو الاجتذاب؛ لأنك لم تذكره في موضعه، بل مهدت له موضعا، ذكرته فيه"اهـ [3].

ويلاحظ أن ما ذكره صاحب الطراز، وكذلك المناوي يؤكد على لزوم وجود التناسب بين المستطرد منه والمستطرد إليه.

وهذا المعنى موجود في الأصل اللغوي؛ فالذي يفر؛ لخداع خصمه؛ ليكر عليه مرة أخرى، لا ريب أن هناك تناسبا ظاهرا بين كره وفره.

وبعض العلماء اشترط في تعريفه للاستطراد الرجوع إلى المعنى الأول الذي خرج منه.

يقول أبو علي الحسن القيرواني:" الاستطراد: أن يرى الشاعر أنه في وصف شيء وهو إنما يريد غيره، فإن قطع أو رجع إلى ما كان فيه؛ فذلك استطراد، وإن تمادى فذلك خروج، وأكثر الناس يسمي الجميع استطراداً، والصواب ما بينته" اهـ [4].

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٤/ ١٠٨٦. وانظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه للحسن القيرواني ٢/ ٤١.

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي ٣/ ٨.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف ص/ ٢٢٦.

(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ٢/ ٤١.

ويقول صاحب خزانة الأدب: " الاستطراد في الاصطلاح، أن تكون في غرض من أغراض الشعر، توهم أنك مستمر فيه، ثم تخرج منه إلى غيره، لمناسبة بينهما. ولابد من التصريح باسم المستطرد به، بشرط أن لا يكون قد تقدم له ذكر، ثم ترجع إلى الأول وتقطع الكلام، فيكون المستطرد به آخر كلامك، وهذا هو الفرق بينه وبين المخلص، فإن الاستطراد يشترط فيه الرجوع إلى الكلام الأول، وقطع الكلام بعد المستطرد به"اهـ.

مما تقدم يمكن الخلوص إلى أن **الاستطراد اصطلاحا**: هو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، ثم الرجوع إلى المعنى الأول.

* * *

المبحث الثاني

أنواع الاستطراد والفرق بينه وبين ما يقاربه من أنواع البديع

الغرض من هذا المبحث إضافة مزيد من التعريف والبيان لهذا الفن من بديع القرآن، ببيان أنواعه، وما يقاربه من أنواع البديع، وما بينه وبينها من فروق.

وأقرب أنواع البديع للاستطراد هي: التخلص، والاعتراض، والإدماج.

فأتناول أولا أنواع الاستطراد، ثم الفرق بينه وبين هذه الثلاثة.

أولا: أنواع الاستطراد

تقدم في المبحث السابق أن بعض المصنفين في علوم البلاغة قد ذكروا في معرض حديثهم عن الاستطراد أنواعا له، كالعسكري، والحسن القيرواني.

وهذا التنوع مرده – والله أعلم – إلى اختلافهم في تعريف الاستطراد، فهم يشتركون في كون الاستطراد انتقالاً من معنى إلى آخر، لمناسبة بينهما. لكنهم يختلفون في اشتراط الرجوع إلى المعنى الأول، كما يختلفون في كون المتكلم أراد الإيهام في المعنى الأول أم لم يرد، بناء على المعنى اللغوي للاستطراد. كما يختلفون هل مقصود المتكلم هو المعنى الثاني والأول سبب إليه، أو العكس.

وهذا يمهد للقول بأن الاستطراد أنواع، من أهمها:

الأول: الانتقال من معنى إلى آخر، لمناسبة بينهما، ثم الرجوع إلى المعنى لأول.

وهذا النوع هو المشهور.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾ **الأعراف: ٢٦** ؛ فانتقل من اللباس الحسي إلى اللباس المعنوي، ثم عاد في الآية التي بعدها إلى اللباس الحسي.

قال صاحب الكشاف عند تفسيره لهذه الآية:" وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليها، إظهاراً للمنة فيما خلق من

اللباس، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأنّ التستر باب عظيم من أبواب التقوى" اهـ [1].

والمتأمل في الآية التي تلت هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا ﴾ الأعراف: ٢٧ – يلحظ أن في قوله: يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا دلالة على أن السياق عاد مرة أخرى إلى الحديث عن اللباس الحسي.

الثاني: أن يأخذ المتكلّم في معنى، فبينا يمرّ فيه، يأخذ في معنى آخر، وقد جعل الأول سببا إليه.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ الملك: ٥.

قال الحافظ ابن كثير: "ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زينت بها السماء – ليست هي التي يرمى بها، وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسها" اهـ [2].

ويلاحظ في هذا النوع أنه لم يحصل رجوع إلى المعنى الأول، وهو تزيين السماء الدنيا بالمصابيح.

الثالث: نوع نص عليه أبو هلال العسكري، كما تقدم، بقوله:" ومن الاستطراد ضرب آخر، وهو: أن يجيء بكلام يظن أنه يبدأ فيه بزهد وهو يريد غير ذلك.

كقول الشاعر:

يا من تشاغل بالطّلل	أقصر فقد قرب الأجل
واصل غبوقك بالصّبو	ح وعدّ عن وصف الملل" [3].

(١) الكشاف ٢/٩٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٤٧٧ ط العلمية.

(٣) سبق ذكرهما قريباً.

وذكره صاحب الإيضاح، ثم قال:".. ولا بأس بأن يسمى هذا إيهام الاستطراد"[1]، ومثل له بقول أبي إسحاق الصابي:

إن كنت خنتُكَ في المودة ساعة ... فـذممتُ سـيف الدولـة المحمـودا

وزعمت أن لـه شـريكا فـي العـلا ... وجحدتـه فـي فـضله التوحيـدا

قَـسَمًا لـو أنـي حـالف بغَموسـها ... لغـريم ديـن مـا أراد مزيـدا

الرابع: نوع من الاستطراد، سماه ابن المعتز في البديع: حسن الخروج، واستشهد له بأمثلة، منها: قول زهير:

إن البخيل ملوم حيث كان ولـ ... ـكن الجواد على علاّته هرم[2]

قال محقق كتاب ابن المعتز معقبا على تسميته بحسن الخروج:" يسميه أبو هلال والمتأخرون: الاستطراد" اهـ[3].

ولعل منه قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ البقرة: ٢١٣ .

جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية روايتان:

الأولى: من طريق قتادة عن عكرمة، قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين. ويؤيدها قراءة ابن مسعود، وأبي بن كعب رضي الله عنهما: "**كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين**".

وبهذا القول قال مجاهد، وقتادة.

---

(١) بغية الإيضاح ٤/٥٩١.

(٢) البديع في البديع ص١٥٦.

(٣) المصدر السابق ص١٥٥.

الثانية: من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، يقول: كانوا كفارا، ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ (١).

قال الحافظ ابن كثير: "والقول الأول عن ابن عباس أصح سندا ومعنى؛ لأن الناس كانوا على ملة آدم، عليه السلام، حتى عبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم نوحا عليه السلام، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض.

ولهذا قال: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾، أي: من بعد ما قامت عليهم الحجج. وما حملهم على ذلك إلا البغي، من بعضهم على بعض" اهـ (٢).

ومقصود الآية – على هذا التفسير – التعجب من حال البشر في تسرعهم إلى الضلال، وتحذير المسلمين من الوقوع في مثل ذلك، مع التعريض بأهل الكتاب – وهم أشهر أهل الشرائع يومئذ – فيما صنعوا بكتبهم من الاختلاف فيها.

قال الطاهر بن عاشور: "وهذا من بديع استطراد القرآن في توبيخ أهل الكتاب وخاصة اليهود وهي طريقة عربية بليغة قال زهير:

إن البخيل ملوم حين كان ولكن الجواد على علاته هرم" (٣).

الخامس: عد بعضهم الإدماج من أنواع الاستطراد.

قال الحسن القيرواني: ".. ومن الاستطراد نوع يسمى الإدماج" (٤).

وعرفه صاحب الإيضاح، بقوله: أن يُضمَّن كلام سِيق لمعنى معنًى آخر.

ومثَّل له بقول أبي الطيب:

أُقَلِّب فيه أجفاني كأني أعد بها على الدهر الذنوبا

---

(١) انظر قولي ابن عباس ومن قال بهما في تفسير الطبري ٤/ ٢٧٥، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٣٧٦.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٥٦٩.

(٣) التحرير والتنوير ٢/ ٣٠٩.

(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ٢/ ٤١.

فإنه ضمَّن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر[1].

وقال ابن أبي الإصبع: "الإدماج: هو أن يدمج المتكلم غرضا في غرض أو بديعا في بديع، بحيث لا يظهر في الكلام إلا أحد الغرضين أو أحد البديعين، كقوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ القصص: ٧٠ أدمجت المبالغة في المطابقة؛ لأن انفراده بالحمد في الآخرة وهي الوقت الذي لا يحمد فيه سواه – مبالغة في الوصف بالانفراد بالحمد، وهو وإن خرج مخرج المبالغة في الظاهر فالأمر فيه حقيقة في الباطن؛ فإنه رب الحمد والمنفرد به في الدارين " اهـ[2].

وعقب السيوطي عليه بقوله: "والأولى أن يقال في هذه الآية إنها من إدماج غرض في غرض؛ فإن الغرض منها: تفرده تعالى بوصف الحمد، وأدمج فيه الإشارة إلى البعث والجزاء" اهـ[3].

وقال الطاهر بن عاشور: " الإدماج – من أفانين البلاغة – أن يكون مراد البليغ غرضين؛ فيقرن الغرض المسوق له الكلام بالغرض الثاني، وفيه تظهر مقدرة البليغ؛ إذ يأتي بذلك الاقتران بدون خروج عن غرضه المسوق له الكلام ولا تكلف" اهـ[4].

والناظر في تفسيره يلحظ عنايته الظاهرة بالإدماج، كغيره من فنون البلاغة.

فمن ذلك قوله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ طه: ٥٣ –:".. ولما ذكر منة خلق الأرض، شفعها بمنة إخراج النبات منها، بما ينزل عليها من السماء من ماء. وتلك منة تنبئ عن خلق السماوات، حيث أجرى ذكرها، لقصد ذلك التذكير، ولذا لم يقل:

---

(١) بغية الإيضاح ٤/ ٦٢٥.

(٢) بديع القرآن ص١٧٢.

(٣) الإتقان ٣/ ٢٩٨.

(٤) التحرير والتنوير ١/ ٣٣٩.

وصببنا الماء على الأرض، كما في آية: ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴾ عبس: ٢٥ – ٢٦. وهذا إدماج بليغ" اهـ [1].

لكن ابن عاشور لا يعد الإدماج من أنواع الاستطراد؛ لأن ما يراه استطرادا ينص عليه، وهذا كثير، كما سيأتي في موضعه.

السادس: نوع من الاستطراد، الغرض منه: **التنبيه على الأهم من جنس المهم.**

وهذا النوع هو موضوع هذا البحث ولبه، وسيأتي الحديث عنه في المبحث الرابع بالتفصيل بشواهده الكثيرة المبثوثة في القرآن.

ثانيا: الفرق بين الاستطراد وبين ما يقاربه من أنواع البديع

يمكن حصر أنواع البديع التي تقارب الاستطراد في ثلاثة أنواع: حسن التخلص، والاعتراض، والإدماج.

وسأعرض باختصار للفرق بين الاستطراد وبين كل واحد من هذه الثلاثة فيما يلي :

الفرق بين الاستطراد وحسن التخلص

تقدم أن الاستطراد اصطلاحا هو: الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، ثم الرجوع إلى المعنى الأول.

وأما حسن التخلص فهو: الخروج من معنى إلى معنى آخر غيره بلطيفة تلائم الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه.

قال ابن الأثير:" أما التخلص فهو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينا هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سببا إليه، فيكون بعضه آخذا برقاب بعض، من غير أن يقطع كلامه، ويستأنف كلاما آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا، وذلك مما يدل على حذق الشاعر، وقوة تصرفه، أما الاقتضاب فإنه ضد التخلص،

(١) المصدر السابق ٢٣٧/١٦.

وذاك أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه ويستأنف كلاما آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك، ولا يكون للثاني علاقة بالأول" اهـ [1].

وقال في موضع آخر:" حقيقة التخلص إنما هي الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره بلطيفة تلائم الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه، وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة كالخروج من الوعظ والتذكير بالإنذار والبشارة بالجنة إلى أمر ونهي ووعد ووعيد، ومن محكم إلى متشابه، ومن صفة لنبي مرسل وملك منزل إلى ذم شيطان مريد وجبار عنيد، بلطائف دقيقة، ومعان آخذ بعضها برقاب بعض." اهـ [2].

إذن يشترك حسن التخلص مع الاستطراد في التناسب بين المعنيين.

ولذا سمى بعضهم – كابن المعتز – الاستطراد حسن الخروج أو التخلص، كما تقدم [3].

والذين يشترطون في الاستطراد رجوع المتكلم إلى كلامه الأول بعد خروجه منه– يجعلون هذا الشرط هو الفارق بينه وبين حسن التخلص.

قال الحسن القيرواني:" الاستطراد: أن يرى الشاعر أنه في وصف شيء وهو إنما يريد غيره، فإن قطع أو رجع إلى ما كان فيه فذلك استطراد، وإن تمادى فذلك خروج، وأكثر الناس يسمي الجميع استطراداً، والصواب ما بينته" اهـ [4].

وقال ابن حجة: "والفرق بين التخلص والاستطراد، أن الاستطراد يشترط فيه الرجوع إلى الكلام الأول، أو قطع الكلام، فيكون المستطرد به آخر كلامه، والأمران معدومان في التخلص، فإنه لا يرجع إلى الأول ولا يقطع الكلام، بل يستمر على ما يتخلص إليه"اهـ [5].

---

(١) المثل السائر ٣/ ١٢١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: ص ٤٦٢ .

(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ٢/ ٣٩.

(٥) خزانة الأدب ١/ ٣٢٩.

وكذلك صنع العلوي عند تعريفه للاستطراد، حيث قال بأن " معناه في مصطلح علماء البيان: أن يشرع المتكلم في شيء من فنون الكلام، ثم يستمر عليه فيخرج إلى غيره، ثم يرجع إلى ما كان عليه من قبل، فإن تمادى؛ فهو الخروج، وإن عاد؛ فهو الاستطراد " [1].

الفرق بين الاستطراد والاعتراض

الاعتراض من أنواع البديع. وقد عرفه أبو هلال بأنه اعتراض كلام في كلام لم يتم، ثم يرجع إليه فيتمه [2].

وقال ابن الأثير: "هو كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب، لو سقط؛ لبقي الأول على حاله" [3].

وأطنب العلوي في بيانه، فقال "بأنه كل كلام أدخل في غيره أجنبي، بحيث لو أسقط؛ لم تختل فائدة الكلام. وأما المعترض فيه، فهو كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب، بحيث لو أسقط؛ لبقى الكلام على حاله في الإفادة" اهـ [4].

وزاد ابن حجة، فبين الغرض منه، فقال: "الاعتراض عبارة عن جملة تعترض بين الكلامين، تفيد زيادة في معنى غرض المتكلم" [5].

وهذه الزيادة تكون؛ لدواعي بلاغية: كالتنزيه، والتعظيم، والدّعاء، والتبرُّك، والاستعطاف، والتقرير في نفس السامع، والتنبيه على أمْر مهم... .

وقد يكون الاعتراض؛ للاستطراد، كما سيأتي بيانه في شواهد الاستطراد عند المفسرين، لاسيما الألوسي، وابن عاشور.

وأما إذا كان الاعتراض؛ لدفع الإيهام؛ فهو احتراس، لا اعتراض.

---

(١) الطراز ٣/٨.

(٢) الصناعتين ص٣٩٤.

(٣) المثل السائر ٣/٤٠.

(٤) الطراز ٢/٨٩.

(٥) خزانة الأدب ٢/٢٨٠.

ومن شواهد الاعتراض في القرآن قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾ الواقعة: ٧٥ – ٧٧ ؛ ففي هذه الآيات الثلاث اعتراضان:

أحدهما: الآية الثانية، وهي قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ ؛ فأتى به اعتراضا بين القسم في الآية الأولى وجوابه في الآية الثالثة. وإنما أتى به؛ تعظيما للمقسم به، واهتماما بذكر حاله. وذلك يكون أوقع في النفوس.

وثانيهما: اعتراض داخل الاعتراض الأول؛ فقوله: ﴿ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ جملة فعلية معترضة بين الموصوف، وهو قوله: ﴿ لَقَسَمٞ ﴾ والصفة، وهي قوله: ﴿ عَظِيمٌ ﴾. والغرض من هذا الاعتراض: هو التنبيه إلى سبب عدم تعظيم المشركين للقرآن، وهو جهلهم الشديد بالله تعالى.

قال الحافظ ابن كثير: "وقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾، أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم، لو تعلمون عظمته؛ لعظمتم المقسم به عليه" اهـ [1].

ومن الشواهد أيضا قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٤.

فقوله: ﴿ وَلَن تَفۡعَلُواْ ﴾ اعتراض بين جزأي الشرطية، مقرر لمضمون مقدمها، ومؤكد لإيجاب العمل بتاليها [2].

فتبين مما تقدم أن الاعتراض يشترك مع الاستطراد في أمرين:

أحدهما: أن كل واحد منهما يكون أثناء الكلام؛ فما قبله وما بعده موضوعه واحد. وهذا ينطبق على الاستطراد الذي يشترط فيه رجوع المتكلم بعد الاستطراد إلى كلامه الأول.

---

(١) تفسير ابن كثير ٧/ ٥٤٤.

(٢) تفسير أبي السعود ١/ ٦٧.

الثاني: أن بينهما شبها، من حيث إنهما غير مقصودين لذاتهما في الكلام، بل لمناسبة في الاستطراد، ولغرض زائد عند المتكلم في الاعتراض.

وعليه فالفرق بين الاعتراض وبين الاستطراد أنّ الاعتراض يأتي تحقيقا لما سيق له الكلام من غرض، منزل منزلة الجزء منه، حتى صح توسطه بين أجزائه، ولا يعد فصلا. وأما الاستطراد فوجه اتصاله بالكلام قبله، باعتبار مناسبة مّا، فلا يتصل كالاعتراض [١].

وهناك من علماء البلاغة من لم يفرق بينهما، كالسكاكي [٢].

وصاحب الطراز جعلهما متقاربين، حيث وصف الاستطراد بقوله: ".. هو نوع من علم البلاغة دقيق المجرى، غزير الفوائد، يستعمله الفصحاء، ويعول عليه أكثر البلغاء، وهو قريب من الاعتراض، خلا أن الاعتراض منه ما يقبح، ويحسن، ويتوسط، بخلاف الاستطراد فإنه حسن كله.." اهـ [٣].

الفرق بين الاستطراد والإدماج

تقدم أن الإدماج: هو أن يدمج المتكلم غرضا في غرض، بحيث لا يظهر في الكلام إلا أحد الغرضين.

ولا ريب أن بين الاستطراد والإدماج تقاربا، لاسيما عند من لا يشترط رجوع المتكلم بعد – الاستطراد – إلى كلامه الأول.

ولذا عد بعض العلماء الإدماج من أنواع الاستطراد، كما تقدم [٤].

والأظهر أن الفرق بينهما يتمثل في أن الإدماج اقتران غرضين في كلام واحد، بينما الاستطراد انتقال من كلام إلى آخر غيره.

* * *

(١) انظر: حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي ٢٨٣/٢.

(٢) مفتاح العلوم ص ٤٢٨، وانظر: حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي ٢٨٣/٢.

(٣) الطراز ٨/٣.

(٤) سبق الكلام عنه قريباً .

المبحث الثالث

الاستطراد في كتب التفسير

تقدم في التمهيد أن الاستطراد يعد من مباحث علوم القرآن.

والذين صنفوا في هذا العلم ذكروه في علم بدائع القرآن، أو في علم إعجاز القرآن، عند حديثهم عن وجوه إعجازه البياني.

ويلاحظ أن تناوله في كتب علوم القرآن جاء من خلال الحديث عن تناسب الآيات، باعتباره وجها من وجوه ارتباط الآية أو الآيات بما قبلها وما بعدها، أو ارتباط الجمل في الآية الواحدة بعضها مع بعض.

وإذا كان تناول الاستطراد – فيما سبق من مباحث – بمثابة التأصيل والتنظير لهذا الفن، فإن هذا المبحث هو كالتطبيق له، وذلك بالنظر في كتب المفسرين، للوقوف على من عُنوا منهم بالاستطراد.

وبعد النظر الطويل في هذه الكتب تبين أن المفسرين الذين نصوا على الاستطراد – فناً من فنون البلاغة القرآنية، وأكثروا من ذلك – هم من كانت لهم عناية ظاهرة ببلاغة القرآن، بل جعلوها من مقاصد تفسيرهم للقرآن، وكانت لهم – في جملتهم – عناية بتناسب الآيات والجمل القرآنية. فكان الحامل لهم – في الغالب – على بيان الاستطراد في القرآن هو الكشف عن التناسب الذي يكون بين الآيات أو بين الجمل.

وبعد تتبع كتب المفسرين – قديما وحديثا – لمعرفة موقفهم من الاستطراد، تبين لي أن من أبرزهم عناية به سبعة : الزمخشري في الكشاف، وأبو حيان في البحر المحيط، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم، وشهاب الدين الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي، والألوسي في روح المعاني، ومحمد عزة دروزة في التفسير الحديث، والطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير.

وأكثر هؤلاء السبعة عناية بالاستطراد: الألوسي، وابن عاشور، ومحمد دروزة؛ فذكروا الاستطراد في القرآن في مواضع كثيرة من تفاسيرهم، ربما تجاوز الواحد منهم الخمسين موضعا.

وهناك من المفسرين من كانت عنايتهم بالاستطراد دون السبعة المتقدمين؛ فذكروا الاستطراد في تفاسيرهم على نطاق أقل. ومنهم: النسفي في مدارك التنزيل، والقاسمي في محاسن التأويل.

ومنهم من لم يذكر الاستدراك إلا لماما، كالرازي، والبيضاوي، وابن جزي، وابن كثير...

وسأقتصر على المفسرين السبعة؛ فأذكر شواهد من كل تفسير، تدل على عنايتهم بالاستطراد.

أولا: من شواهد الاستطراد في تفسير الكشاف

١- قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ۖ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ آل عمران: ١١٠ - ١١١.

قال الزمخشري: "فإن قلت: ما موقع الجملتين أعني: ﴿ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ و لَن يَضُرُّوكُمْ ﴾؟ قلت: هما كلامان واردان على طريق الاستطراد، عند إجراء ذكر أهل الكتاب، كما يقول القائل: وعلى ذكر فلان؛ فإنّ من شأنه كيت وكيت، ولذلك جاءا من غير عاطف" (١).

٢- قال الله تعالى: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ الأعراف: ٥٨.

---

(١) الكشاف ٤٠١/١.

تعد هذه الآية – عند صاحب الكشاف – استطرادا بالنسبة للآية التي قبلها. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ الأعراف: ٥٧.

ووجه كون قوله: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ ... ﴾ الآية – استطرادا لا يتضح إلا بمعرفة تفسيرها!

أخرج الإمام الطبري بسنده عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير هذه الآية: "فهذا مثل ضربه الله للمؤمن. يقول: هو طيب، وعمله طيب، كما البلد الطيب ثمره طيب. ثم ضرب مثلَ الكافر كالبلدة السَّبِخة المالحة التي يخرج منها النز، فالكافر هو الخبيث، وعمله خبيث".

وأخرج بسنده عن السدي أنه قال في تفسيرها: هي السبخة لا يخرج نباتها إلا نكدًا والنكد: الشيء القليل، الذي لا ينفع؛ فكذلك القلوب لما نزل القرآن، فالقلب المؤمن لما دخله القرآن، آمن به، وثبت الإيمان فيه، والقلب الكافر لما دخله القرآن، لم يتعلق منه بشيء ينفعه، ولم يثبت فيه من الإيمان شيء إلا ما لا ينفع، كما لم يُخْرِج هذا البلد إلا ما لا ينفع من النبات [1].

وعليه، فوجه الاستطراد في الآية: أن الله عز وجل لما بين في الآية الأولى منته على عباده بإنزال المطر على البلد الميت، وإخراج الثمرات، استطرد في الآية الثانية بضرب المثل المذكور، لما بين تلقي القلوب للوحي وتلقي الأرض للغيث من التشابه والتناسب.

قال الزمخشري: "وهذا التمثيل واقع على أثر ذكر المطر، وإنزاله بالبلد الميت، وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد" [2].

---

(١) تفسير الطبري ٤٩٦/١٢، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم ١٥٠٣/٥، وتفسير ابن كثير ٤٣١/٣.

(٢) الكشاف ١١٢/٢.

٣- قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ طه: ١١٣ - ١١٤.

فلما مدح الله عز وجل في الآية الأولى كتابه وأشاد بوضوحه التام وتنوع تصريفه وعظيم أثره على القلوب، وهو دليل على كمال الله في ملكه وحكمه؛ استطرد في الآية الثانية في أمر يتعلق بالكيفية التي ينبغي أن يتلقى بها الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن؛ فقال: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾.

قال الزمخشري:"ولما ذكر القرآن وإنزاله، قال على سبيل الاستطراد: وإذا لقنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن، فتأنّ عليك، ريثما يسمعك ويفهمك، ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك، ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته " (١).

ثانيا: من شواهد الاستطراد في البحر المحيط

١- قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ البقرة: ٢٧٥.

قال أبو حيان:"مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن ما قبلها وارد في تفضيل الإنفاق والصدقة في سبيل الله، وأنه يكون ذلك من طيب ما كسب، ولا يكون من الخبيث. فذُكر نوعٌ غالبٌ عليهم في الجاهلية، وهو: خبيث، وهو: الربا؛ حتى يمتنع من الصدقة بما كان من ربا. وأيضا فتظهر مناسبة أخرى، وذلك أن الصدقات فيها نقصان مال، والربا فيه زيادة مال؛ فاستطرد من المأمور به إلى ذكر المنهي عنه؛ لما بينهما من مناسبة ذكر التضاد، وأبدى لأكل الربا صورة تستبشعها العرب على عادتها في ذكر ما استغربته واستوحشت منه، كقوله: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ الصافات: ٦٥ " (٢).

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٩٠.

(٢) البحر المحيط ٢/ ٧٠٣.

٢- قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾النساء:٥٣ - ٥٤.

هاتان الآيتان جاءتا عقب قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ النساء: ٥١ - ٥٢؛ حيث تعجب الله من صنيع اليهود؛ فمع أنهم أوتوا نصيبا من العلم، الموصل إلى الإيمان بالله ورسوله، إلا أن الكبر والحسد حملهم على الكفر، والإيمان بالأصنام وما يعبد من دون الله، بل من شدة عنادهم تملقوا للكفار وداهنوهم، فجعلوا طريقة عبدة الأصنام والأوثان أهدى وأرشد من طريقة المؤمنين وسبيلهم؛ فأحل الله عليهم نقمته، وطردهم من رحمته [1].

فأنكر تبارك وتعالى عليهم هذا المسلك الشنيع، فقال﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾؛ فهل الحامل لهم على هذا كونهم شركاء لله، فيفضلون من شاءوا على من شاءوا، بمجرد أهوائهم، فيكونون شركاء لله في تدبير ملكه. فلو كانوا كذلك، لشحوا وبخلوا أشد البخل؟ أم الحامل لهم على ذلك الحسد للرسول وللمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله؟ [2].

فرد عليهم عز وجل، بقوله: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾.

قال الفخر الرازي في بيان وجه اتصال هذه الجملة بما قابلها:" واعلم أنه تعالى لما بين أن كثرة نعم الله عليه صارت سببا لحسد هؤلاء اليهود، بين ما يدفع ذلك فقال: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾، والمعنى أنه حصل في

---

(١) انظر تفسير السعدي ص١٨٢.

(٢) انظر: تفسير المنار ٥ / ١٢٩، وتفسير السعدي ص١٨٢.

أولاد إبراهيم جماعة كثيرون جمعوا بين النبوة والملك، وأنتم لا تتعجبون من ذلك ولا تحسدونه، فلم تتعجبون من حال محمد صلى الله عليه وسلم ؟ ولم تحسدونه ؟ " [1].

وقال الطاهر بن عاشور في وجه صلتها:" أي: فلا بدع فيما حسدوه، إذ قد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة والملك " [2].

وذهب أبو حيان إلى أن في الآية استطرادا، فقال: " والظاهر أنه تعالى لما أنكر على اليهود حسدهم الناس على فضل الله الذي آتاهم، أتى بما بعده على سبيل الاستطراد والنظر والاستدلال عليهم بأنه لا ينبغي لكم أن تحسدوا، فقد حاز أسلافكم من الشرف ما ينبغي أن لا تحسدوا أحدا" [3].

٣- قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ الصافات: ٤٠ - ٦٤.

من عادة القرآن أنه إذا جاء بذكر الجنة، ثنى بذكر النار، وكذلك العكس.

وفي هذه الآيات ذكر أهل الجنة ونعيمهم فيها، واستطرد بذكر قصة المؤمن مع قرينه الكافر، ثم ثنى بذكر النار.

---

(١) تفسير الرازي ١٠/١٠٥.

(٢) التحرير والتنوير ٥/٨٨.

(٣) البحر المحيط ٣/٦٧٩.

قال أبو حيان:" لما انقضت قصة المؤمن وقرينه، وكان ذلك على سبيل الاستطراد من شيء إلى شيء؛ عاد إلى ذكر الجنة والرزق الذي أعده الله فيها لأهلها؛ فقال: أذلك الرزق خير نزلا ؟ والنزل ما يعد للأضياف، وعادل بين ذلك الرزق وبين شجرة الزقوم " [1].

ثالثا: من شواهد الاستطراد في تفسير أبي السعود

١- قال الله تعالى: • ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ البقرة: ٣ – ٥.

عد أبو السعود هذه الآيات استطرادا. وجاء ذلك عند حديثه عن وجه ارتباط قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ البقرة: ٦ بما قبله؛ حيث قال: " ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ كلام مستأنف، سيق؛ لشرح أحوال الكفرة الغواة المردة العتاة، إثر بيان أحوال أضدادهم، المتصفين بنعوت الكمال، الفائزين بمباغيهم في الحال والمآل، وإنما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ الانفطار: ١٣ – ١٤؛ لما بينهما من التنافي في الأسلوب والتباين في الغرض؛ فإن الأولى مسوقة؛ لبيان رفعة شأن الكتاب في باب الهداية والإرشاد، وأما التعرض لأحوال المهتدين به؛ فإنما هو بطريق الاستطراد، سواء جعل الموصول موصولا بما قبله، أو مفصولا عنه؛ فإن الاستئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام المتقدم، فهو من مستتبعاته لا محالة، وأما الثانية فمسوقة؛ لبيان أحوال الكفرة أصالة وترامي أمرهم في الغواية والضلال، إلى حيث لا يجديهم الإنذار والتبشير، ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير؛ فهم ناكبون في تيه الغي والفساد عن منهاج العقول، وراكبون في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول" [2].

---

(١) البحر المحيط ٩/ ١٠٦.

(٢) تفسير أبي السعود ١/ ٣٥.

٢- قال الله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ يس: ٤١ - ٤٣.

عد أبو السعود قوله تعالى: وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ استطرادا، حيث قال في تفسيره للآيات أعلاه: " وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مما يماثل الفلك مَا يَرْكَبُونَ من الإبل، فإنها سفائن البر. أو مما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق. وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ الخ من تمام الآية، فإنهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ لقمان: ٣٢. وقرئ: نغرّقهم، بالتشديد. وفي تعليق الإغراق بمحض المشيئة، إشعار بأنه قد تكامل ما يوجب إهلاكهم من معاصيهم، ولم يبق إلا تعلق مشيئته تعالى به، أي: إن نشأ نغرقهم في اليم مع ما حملناهم فيه من الفلك، فحديث خلق الإبل حينئذ كلام جيء به في خلال الآية بطريق الاستطراد، لكمال التماثل بين الإبل والفلك، فكأنها نوع منه أو مع ما يركبون من السفن والزوارق "[1].

٣- قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ الطلاق: ٢ - ٣.

جوَّز أبو السعود أن يكون قوله تعالى: وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا.. استطرادا، حيث قال في تفسير الآيات أعلاه: " ذَٰلِكُمْ إشارة إلى الحث على الإشهاد والإقامة، أو على جميع ما في الآية. يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ إذ هو المنتفع به، والمقصود تذكيره. وقوله تعالى: وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ.. الخ جملة اعتراضية، مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تعالى، بالوعد على الاتقاء عن تعديها، كما أن ما تقدم من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ الطلاق: ١ مؤكد له بالوعيد على تعديها، فالمعنى: ومن يتق الله، فطلق للسنة، ولم يضار المعتدة، ولم يخرجها من

(١) تفسير أبي السعود ٧/ ١٦٩، باختصار.

مسكنها، واحتاط في الإشهاد وغيره من الأمور؛ **يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا** مما عسى يقع في شأن الأزواج من الغموم والوقوع في المضايق، ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب. **وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**، أي: من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه.

ويجوز أن يكون كلاما جيء به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله تعالى: **ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ** .. إلى آخره، فالمعنى: ومن يتق الله في كل ما يأتي وما يدر، يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة، فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا أوليا "[1].

رابعا: من شواهد الاستطراد في حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي

١- قال الله تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ** ﴾ البقرة: ١٧٦ – ١٧٧.

قال الشهاب: " وذكر القبلة هنا استطراد حسن الموقع، لأنه لما ذكر اختلافهم في الأصول؛ تممه باختلافهم في الفروع، ولولا هذا لم يرتبط بما قبله "[2].

٢- قال الله تعالى: ﴿ **سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا** ﴾ الإسراء: ١ – ٢.

قال الشهاب: " قوله تعالى: **وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ** .. الآية – عقبت آية الإسراء بهذه، استطرادا، بجامع أن موسى عليه الصلاة والسلام أعطي التوراة بمسيره إلى الطور، وهو

---

(١) تفسير أبي السعود ٨/ ٢٦١.

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٢/ ٢٦٩.

بمنزلة معراجه؛ لأنه منح ثمة التكليم، وشرف باسم الكليم، وطلب الرؤية، مدمجا فيه تفاوت ما بين الكتابين ومن أنزلا عليه" [1].

٣- قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الحديد: ١٦ - ١٧.

قال الشهاب في قوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾: " استعارة تمثيلية، ذكرت، استطراداً، لإرشادهم إلى إزالة ما يقسي قلوبهم، بالالتجاء إلى الله الذي أحيا موات الجمادات بالنبات، فإنه هو القادر على إحياء تلك القلوب الميتة، بذكره، وتلاوة كلامه، فالمستعار له ما يمن به من الخشوع وزوال القسوة" [2].

خامسا: من شواهد الاستطراد في روح المعاني للألوسي

١- قال الله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة: ١٤٢ - ١٤٣.

قال الألوسي: " ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ اعتراض بين كلامين متصلين، وقعا خطابا له صلى الله تعالى عليه وسلم، استطرادا؛ لمدح المؤمنين بوجه آخر، أو تأكيدا؛ لرد الإنكار بأن هذه الأمة وأهل هذه الملة شهداء عليكم يوم الجزاء وشهاداتهم مقبولة عندكم؛ فأنتم إذا أحق باتباعهم والاقتداء بهم؛ فلا وجه لإنكاركم عليهم" [3].

---

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٦/ ٧.

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٨/ ١٥٨.

(٣) روح المعاني ١/ ٤٠٣.

أي أن الله تعالى في الآية الأولى ذكر موضوع تغيير القبلة، وختم الآية؛ بذكر صفة من أعظم صفات المؤمنين، وهي لزومهم الصراط المستقيم؛ فقال: ﴿يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، ثم استطرد في الآية الثانية؛ فذكر فضيلة أخرى للمؤمنين أعظم من الأولى؛ فقال: ﴿يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، ثم عاد السياق مرة أخرى إلى موضوع تغيير القبلة؛ بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ ... الآية [1].

٢- قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ النساء: ١٥٥- ١٥٦.

قال الألوسي: "﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ كلام معترض بين المعطوفين، جيء به على وجه الاستطراد؛ مسارعة إلى رد زعمهم الفاسد، أي: ليس الأمر كما زعمتم من أنها أوعية العلم؛ فإنها مطبوع عليها، محجوبة من العلم، لم يصل إليها شيء منه، كالبيت المقفل المختوم عليه" [2].

٣- قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا

---

(١) انظر: التحرير والتنوير ٢/ ١٤.

(٢) روح المعاني ٣/ ١٨٥.

مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ۖ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۖ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ فاطر: ٢٤ – ٣٢.

قال الألوسي: " ووجه النظم أنه تعالى قدم إرساله في كل أمة رسولا، وعقبه بما ينبئ أن تلك الأمم تفرقت حزبين: حزب كذبوا الرسل وما أنزل معهم، وهم المشار إليهم بقوله تعالى: فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ، وحزب صدقوهم وتلوا كتاب الله تعالى وعملوا بمقتضاه، وهم المشار إليهم بقوله سبحانه: إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ .. إلخ، وبعد أن أثنى سبحانه على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الأمم؛ جاء بما يختص برسوله صلّى الله عليه وسلم من قوله سبحانه: وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ .. إلخ، استطرادا معترضا، ثم أخبر سبحانه بإيراثه هذا الكتاب الكريم هذه الأمة بعد إعطاء تلك الأمم الزبر والكتاب المنير "[1].

سادسا: من شواهد الاستطراد في التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور

١– قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾ البقرة: ١٤٥ – ١٤٨.

قال الطاهر بن عاشور: " "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ جملة معترضة بين جملة: وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ جملة معترضة بين جملة: وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ .. إلخ، وبين جملة: وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ .. إلخ – اعتراض استطراد، بمناسبة ذكر مطاعن أهل الكتاب في القبلة الإسلامية؛ فإن

(١) روح المعاني ٣٦٧/١١.

طعنهم كان عن مكابرة، مع علمهم بأن القبلة الإسلامية حق، كما دل عليه قوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ البقرة: ١٤٤؛ فاستطرد بأن طعنهم في القبلة الإسلامية ما هو إلا من مجموع طعنهم في الإسلام وفي النبي صلى الله عليه وسلم، والدليل على الاستطراد قوله بعده: وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ؛ فقد عاد الكلام إلى استقبال القبلة "[1].

٢- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة: ٦٠.

قال الطاهر بن عاشور: "هذه الآية اعتراض بين جملة: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ التوبة: ٥٨ وجملة: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ ﴾ التوبة: ٦١ الآية. وهو استطراد نشأ عن ذكر اللمز في الصدقات، أدمج فيه تبيين مصارف الصدقات "[2].

٣- قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ سبأ: ١٠.

قال الطاهر بن عاشور: "مناسبة الانتقال من الكلام السابق إلى ذكر داود خفية. فقال ابن عطية: ذكر الله نعمته على داود وسليمان، احتجاجا على ما منح محمدا، أي: لا تستبعدوا هذا، فقد تفضلنا على عبيدنا قديما. وقال الزمخشري عند قوله: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ سبأ: ٩ ، لأن المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به اهـ. فقال الطيبي: فيه إشارة إلى بيان نظم هذه الآية، بقوله: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا؛ لأنه كالتخلص منه إليه؛ لأنه من المنيبين المتفكرين في آيات الله. قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ ص: ١٧ اهـ. فلإنابته وتأويبه أنعم الله عليه بنعم الدنيا والآخرة وباركه وبارك نسله. وفي ذكر فضله

(١) التحرير والتنوير ٢/ ٣٩.

(٢) التحرير والتنوير ١٠/ ٢٣٤.

عبرة للناس بحسن عناية الله بالمنيبين، تعريضا بضد ذلك للذين لم يعتبروا بآيات الله. وفي هذا إيماء إلى بشارة النبي صلى الله عليه وسلم، بأنه بعد تكذيب قومه وضيق حاله منهم سيؤول شأنه إلى عزة عظيمة وتأسيس ملك أمة عظيمة، كما آلت حال داود. وذلك الإيماء أوضح في قوله تعالى: ﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ص: ١٧.

وسمى الطيبي هذا الانتقال إلى ذكر داود وسليمان تخلصا، والوجه أن يسميه استطرادا أو اعتراضا وإن كان طويلا؛ فإن الرجوع إلى ذكر أحوال المشركين بعد ما ذكر من قصة داود وسليمان وسبأ – يرشد إلى أن إبطال أحوال أهل الشرك هي المقصود من هذه السورة "[1].

سابعا: من شواهد الاستطراد في التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة

١- قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۗ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ البقرة: ١٠٤- ١١٠.

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ١٥٤.

قال: محمد عزة دروزة: "ويتبادر لنا أن ذكر المشركين في الآيتين [١٠٥ و ١٠٩] قد جاء من قبيل الاستطراد وأن المقصد القريب هو اليهود. ولعله أريد بذكر المشركين في هذا المقام تقرير كون اليهود الذين يفرض أنهم أقرب إلى المسلمين دينا هم والمشركون سواء في إرادة الشرّ وسوء النية نحو المسلمين" [١].

ويلاحظ أنه لم يرد ذكر للمشركين في الآية ١٠٩؛ فلعل ما ذكره سبق قلم، ويكون الاستطراد في الآية ١٠٥ فحسب.

٢- قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ التوبة: ٧١ - ٧٢.

قال محمد عزة دروزة: "عبارة الآيتين واضحة أيضا. ولم يرو المفسرون رواية خاصة في صددهما.

والمتبادر أنهما جاءتا استطراديتين؛ للتنويه بالمؤمنين المخلصين، وتبشيرهم مقابل ما سبقهما من التنديد بالمنافقين وإنذارهم؛ فالمؤمنون المخلصون من الرجال والنساء متضامنون، متناصرون على كل ما فيه الخير والحقّ؛ فيأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله، وسيكونون بسبب ذلك موضع رحمة الله القوي الحكيم. وقد وعدهم بالخلود في مساكن طيبة من جنّات عدن، فضلا عن رضوان الله، الذي يفوق في مداه ومعناه نعيم الجنّات.

وعلى هذا فالآيتان ليستا منفصلتين عن السياق والسلسلة. ومثل هذا الاستطراد للمقابلة مألوف في النظم القرآني مما مرّ منه أمثلة عديدة" [٢].

---

(١) التفسير الحديث ٦/ ٢١٩.

(٢) التفسير الحديث ٩/ ٤٩٤.

٣- قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾النور: ٣٥ - ٣٦.

قال محمد عزة دروزة: "قال بعض المفسرين: إن "فِي" متعلقة بمحذوف تقديره: (سبحوا)، أي: سبحوا الله في بيوت أذن الله أن ترفع. وهذا يجعل الآيات فصلا جديدا متصلا بما بعده، غير أن معظم المفسرين قالوا: إنها متعلقة بالمشكاة، التي مثل الله نوره في الآية السابقة بنورها، على اعتبار أن مشاكي بيوت العبادة أكبر المشاكي، ونورها أقوى الأنوار. ونحن نرجح هذا على القول الأول؛ لأنه متسق مع معنى الآيات ومداها. وبذلك تكون هذه الآيات بمثابة استطراد وانتقال؛ لتقرر أن نور الله قوي هاد، كنور المشكاة الكبيرة، ذات النور الساطع، التي تكون في بيوت العبادة، التي أمر الله برفع أركانها وتكريمها بذكر اسمه، والتي يسبح له فيها عباده المهتدون بنوره، الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكره وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، حاسبين حساب اليوم الآخر، الذي تضطرب فيه القلوب وتزيغ الأبصار. ولسوف يجزيهم الله جزاء يتكافأ مع أحسن أعمالهم، ويزيدهم من فضله أيضا، وهو الواسع الفضل، إذا أعطى أحدا، فإنه يعطيه بدون حساب.

والمعنى مستقيم بهذا الشرح كما هو واضح. ومع أن ذكر بيوت الله جاء إتماما لمدى تمثيل نور الله بالمشكاة، فالمتبادر أن ذكر عباد الله قد جاء بمثابة استطراد. وليس هذا غريبا في النظم القرآني. وقد تضمن الاستطراد في الوقت نفسه تنويها ببيوت العبادة وإيجاب تكريمها وتطهيرها، وبعباد الله المخلصين واهتدائهم بنور الله وما يسَّره لهم هذا النور من السير في الطريق القويم الذي نجحوا به وسعدوا "[1].

(١) التفسير الحديث ٨/ ٤٢٤.

المبحث الرابع

الاستطراد للتنويه بالأهم من جنس المهم في القرآن الكريم

يمكن اعتبار ما تقدم من مباحث بمثابة التمهيد لهذا المبحث، وهو نتيجة لها؛ فهو لب هذا البحث وثمرته.

وتقدم ذكره في المبحث الثاني، عند بيان أنواع الاستطراد؛ فذكرت أن منها: الاستطراد للتنويه بالأهم من جنس المهم في القرآن الكريم.

ولم أقف على من ذكر هذا النوع أو سماه بهذا الاسم؛ فهو محض اجتهاد مني؛ فإن يكن صوابا؛ فمن الله، وله الحمد والمنة، وإن يكن خطأً؛ فمني والشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه.

كما أن معظم الشواهد التي سأسوقها لهذا النوع توصلت إليه بالاستقراء والتدبر في آيات القرآن العظيم؛ فأسأله جل وعلا أن يوفقني إلى الصواب ويجنبني الزلل، آمين.

ولما كان هذا المبحث بهذه المنزلة من البحث، وهو مقصوده؛ جعلته عنوانا له.

وقد جاء هذا النوع من الاستطراد في القرآن على ضربين:

الأول: الاستطراد؛ للتنويه بما هو أهم وأشرف من جنس المهم الشريف الذي تتناوله الآيات.

الثاني: الاستطراد، للتنبيه على ما هو أقبح من جنس القبيح الذي تتناوله الآيات.

ومعظم الشواهد التي وقفت عليها في كتاب الله هي من الضرب الأول؛ فأبدأ به:

شواهد الضرب الأول: الاستطراد؛ للتنويه بالأهم الأشرف من جنس المهم:

الشاهد الأول :

قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ البقرة: ١٩٧.

هذه الجملة جاءت في معرض بيان أحكام الحج؛ قال عز وجل: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ البقرة: ١٩٧.

فلما بين تعالى زمن الحج ومحظوراته والحث على فعل الخير فيه، أمر بالتزود له، فقال: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾.

ولهذه الجملة قصة وسبب نزول:

قال البخاري في صحيحه: باب قول الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾

ثم ساق بسنده حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: " كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ "(١).

وبهذا قال عامة المفسرين.

وقيل المعنى: تزوّدوا بالأعمال الصالحة (٢). وإليه ذهب ابن عطية: فقال بأن الأولى في معنى الآية: وتزودوا لمعادكم من الأعمال الصالحة (٣).

والأول أصح، وبه قال أكثر المفسرين، منهم: الطبري، والبغوي، والقرطبي، وابن كثير، وغير واحد (٤).

وقوله: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾. قال عطاء الخراساني يعني: زاد الآخرة (٥).

وعليه فيكون قوله: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ استطرادا، وهو موضع الشاهد من الآية، حيث نبه بهذا الاستطراد على جنس من الزاد أشرف، وهو زاد التقوى اللازم لسفر الآخرة.

قال الحافظ ابن كثير: " قوله: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ : لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا، أرشدهم إلى زاد الآخرة، وهو استصحاب التقوى إليها، كما قال: ﴿وَرِيشًا وَلِبَاسُ

---

(١) صحيح البخاري ٢/١٣٣ – كتاب الحج – حديث رقم ١٥٢٣.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ١/٢٦٠.

(٣) المحرر الوجيز ١/٢٧٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٤/١٦١، وتفسير البغوي ١/٢٢٨، وتفسير القرطبي ٢/٤١١، وتفسير ابن كثير ١/٥٤٨.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم ١/٣٥٠، وتفسير ابن كثير ١/٥٤٨، والدر المنثور.

﴿ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ الأعراف: ٢٦. لما ذكر اللباس الحسي، نبه مرشدا إلى اللباس المعنوي، وهو الخشوع، والطاعة والتقوى، وذكر أنه خير من هذا، وأنفع"اهـ [١].

وذكر الفخر الرازي أن زاد الآخرة يفضل زاد الدنيا من وجوه [٢]:

منها: أن زاد الدنيا يخلصك من عذاب موهوم منقطع، وزاد الآخرة يخلصك من عذاب متيقن دائم.

ومنها: أن زاد الدنيا يوصلك إلى لذة ممزوجة بالآلام والأسقام والمنغصات، وزاد الآخرة يوصلك إلى لذات باقية خالصة عن شوائب المضرة، آمنة من الانقطاع والزوال.

ومنها: أن زاد الدنيا يوصلك إلى دنيا مدبرة منقضية، وزاد الآخرة يوصلك إلى الآخرة، وهي قريبة مقبلة.

الشاهد الثاني :

قال الله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِۖ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة: ٢٢٢.

قبل بيان وجه الاستطراد في الآية أتناول تفسيرها:

فالمراد بـ**ٱلۡمَحِيضِ** في قوله: **وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِ** : هو دم الحيض، وقد دل عليه الجواب، وهو قوله: **قُلۡ هُوَ أَذٗى** . قال مجاهد: أي الدم أذى [٣].

والمراد بالأذى هنا: القذر، كما قال قتادة والسدي[٤].

قال ابن عطية: "**أَذًى** : لفظ جامع لأشياء، تؤذي؛ لأنه: دم، وقذر، ومنتن، من سبيل البول" اهـ [٥].

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٥٤٨.

(٢) تفسير الرازي ٥/٣٢١، بتصرف واختصار. وانظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي ٣/٤٠٧.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ١/٤٠١.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٤/٣٧٤، والدر المنثور ١/٦٢٠.

(٥) المحرر الوجيز ١/٢٩٨. وانظر: تفسير الطبري ٤/٣٧٤.

فوصف دم الحيض بهذا الوصف، لأنه دم فاسد يتولد من فضلة تدفعها طبيعة المرأة من عمق الرحم، وهو جار مجرى البول؛ فكان أذى مثله وقذرا [1].

فأخبر تعالى في هذه الآية أن الحيض أذى، فلما كان كذلك أمر باعتزاله؛ فقال: **فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِۖ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ** [2]، أي: حتى ينقطع دمهن، وهذا هو الشرط الأول في جواز جماعهن. والشرط الثاني هو الاغتسال، ولذا قال بعدها: **فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ**، أي: جماعهن في القبل لا في الدبر، لأنه محل الحرث [3].

فالمراد بالتطهر في قوله: **فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ** [4]: الاغتسال، كَما في قوله تعالى: ﴿**وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ**﴾ المائدة: ٦.

---

(١) انظر: حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي ٢/ ٥٣٤.

(٢) قوله: **فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ**: حكم مبني على قوله: **قُلۡ هُوَ أَذٗى** ، الذي هو بمثابة التعليل للأمر بالاعتزال. وأخرج الطبري في تفسيره ٢/ ٣٨٢، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٤٠٢ عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر قوله: **فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ** بقوله: اعتزلوا نكاح فروجهن. وروي عن مجاهد ومقاتل بن حيان نحو ذلك. وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/ ٢٥٩: "قوله **فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ** يعني الفرج، لقوله: (اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ). وقال القرطبي في تفسيره ٣/ ٨٦: " قوله: **فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ** ، أي في زمن الحيض؛ إن حمل المحيض على المصدر، أو في محل الحيض إن حملته على الاسم". وعليه فيكون المعنى: لما كان دم الحيض نجسا وقذرا، فاجتنبوا مجامعة الزوجات في وقت خروجه، في الموضع الذي يخرج منه، وهو الفرج. وقوله: **وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ** : تقرير وتأكيد لحكم الاعتزال، وبيان لغايته، وتنبيه على أن المراد به عدم قربانهن لا عدمُ القربِ منهن. فمعنى : **وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ** ، أي: لا تجامعوهن. قال الواحدي في الوسيط ١/ ٣٢٨: " **وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ** :لا تجامعوهن، يقال: قرب الرجل امرأته؛ إذا جامعها قربانا". وهو ظاهر كلام الطبري. وبه قال البغوي، وابن كثير. انظر ما تقدم في : تفسير الطبري ٤/ ٣٨٥، وتفسير البغوي ١/ ١٩٦، وتفسير ابن كثير ١/ ٢٦٠، وتفسير الرازي ٦/ ٤١٧، وروح المعاني ١/ ٥١٥، والتحرير والتنوير ٢/ ٣٦٦.

(٣) انظر: تفسير السعدي ص ١٠٠.

(٤) قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بفتح الطاء والهاء مع تشديدهما، والباقون بإسكان الطاء وضم الهاء (٤).انظر: السبعة لابن مجاهد ص ١٨٢، والتيسير للداني ص ٨٠. والأصل على قراءة التشديد: ﴿يَتَطَهَّرْنَ﴾، فأدغمت التاء في الطاء، فشددت. والتطهر يكون بالماء. فالمعنى مطابق لقوله: **فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ** بعدها. وأما المعنى على قراءة التخفيف، فإنه أراد حتى ينقطع الدم، كما قال ابن عباس، ومجاهد،

ودل قولـه: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ بعـد قولـه: ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ علـى وجـوب الاغتـسال للحـائض، وأن انقطاع الدم، شرط لصحته [1].

ثم ختمت الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾، وهو تعليل لما تقدم في الآية من أمر ونهي [2].

وهذا محل الاستطراد في هذا الشاهد، لأن ما جاء في الآية من أمر ونهي متعلق بالطهارة الحسية، فكان المناسب – فيما يظهر – أن يعلل ذلك ببيان محبته جل وعلا للمتطهرين فحسب، ولكنه استطرد ببيان محبته للتوابين، بل وقدمه على المتطهرين، فجاء التعليل في غاية الجمال والجلال والكمال.

وقوله: ﴿ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾: جمع تواب، على وزن فعَّال، أي: كثير التوبة على الدوام. وأصل تَابَ: عاد إلى الله ورجع وأنابَ، يقال: تاب إلى الله يتوب توبا و توبة و متابا، أي: أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة. وتَابَ الله عليه أي عاد عليه بالمغفرة [3].

وعكرمة، والحسن، لأن ذلك ليس من فعلهن، ثم قال: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾، يعنى بالماء.انظر: تفسير الطبري ٣٨٣/٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٤٠١/٢، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص ٩٦، ومعاني القراءات للأزهري ص٧٦، والموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم ٣٢٦/١، والدر المنثور ٦٢٣/١. وذكر الأزهري في معاني القراءات ص٧٦ أنه يجوز في اللغة أن يكون المراد بـ﴿يَطْهُرْنَ﴾ الطهر التام بالماء بعد انقطاع الدم. وهو قول في تفسير هذا الحرف. قال مقاتل بن حيان ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾، يعني: يغتسلن من المحيض. تفسير ابن أبي حاتم ٤٠٢/٢. وكذا قال مقاتل بن سليمان في تفسيره ٢٩٢/١. وقال الواحدي في الوسيط ٣٢٨/١: "من قرأ بالتخفيف فهو من طهرت المرأة تطهر طهرا وطهارة، ومعناه: حتى يفعلن الطهارة التي هي الغسل". ويؤيده قراءة التشديد، فهي بمعنى تطهرن أي اغتسلن. ويؤيده أيضا ما جاء في القاموس المحيط ٤٣٢/١: "طَهَرَتْ وطَهُرَتْ انْقَطَعَ دَمُها، واغْتَسلَتْ من الحَيْضِ وغيرِه، كتَطَهَّرَتْ". ويقويه أنه قال بعدها: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾، ولم يقل: "فإذا طهرن"، وهذا يدل على أن الغاية هي الاغتسال.انظر: روح المعاني ٥١٦/١..

(١) انظر: تفسير الطبري ٣٨٨/٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٤٠٢/٢، وتفسير البغوي ٢٥٩/١، وتفسير ابن كثير ٥٨٨/١.

(٢) انظر نظم الدرر للبقاعي ٢٧٦/٣.

(٣) انظر تهذيب اللغة ٢٣٦/١٤، ولسان العرب ٢٣٣/١.

فالتواب: هو المداوم على التوبة، المبالغ فيها، الذي كلما أذنب سارع إلى التوبة، نظيره قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ الإسراء: ٢٥ [١].

ومعنى قوله: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾، أي: يحب التوابين من الشرك والذنوب، الصادقين في توبتهم، وهو خلاصة ما قاله مجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير، ومقاتل بن حيان، ومقاتل بن سليمان، والكلبي – في تفسير هذه الجملة [٢].

وأما قوله: ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾؛ فقد جاء تفسيرها على قولين:

الأول: أن المراد: ويحب المتطهرين بالماء من الأحداث والنجاسات. قاله عطاء، ومقاتل بن سليمان، والكلبي، واختاره أبو جعفر الطبري [٣].

وهذا التفسير موافق لسياق الآية؛ فإنها في وجوب تطهر المرأة بالاغتسال بعد انقطاع دم الحيض. ويدخل في ﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ أيضا الذين يجتنبون إتيان النساء في فروجهن زمن الحيض أو إتيانهن في أدبارهن.

وعليه، فقد أشار قوله: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ إلى أن العبد مأمور بالعناية بطهارة القلب، كعنايته بطهارة البدن، على نهج معتدل،كما نبه إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية [٤].

---

(١) انظر: تفسير البغوي ١/ ٢٥٩.

(٢) تفسير الطبري ٤/ ٣٩٥، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٤٠٣، وتفسير البغوي ١/ ٢٥٩. والتوبة كلمة جامعة. قال ابن القيم في مدارج السالكين ١/ ٣٠٦: "التوبة هي حقيقة دين الإسلام، والدين كله داخل في مسمى التوبة، وبهذا استحق التائب أن يكون حبيب الله؛ فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وإنما يحب الله من فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه. فإذا التوبة هي الرجوع مما يكرهه الله ظاهرا وباطنا إلى ما يحبه ظاهرا وباطنا، ويدخل في مسماها الإسلام والإيمان والإحسان، وتتناول جميع المقامات، ولهذا كانت غاية كل مؤمن وبداية الأمر وخاتمته" اهـ. وقال في موضع آخر من المصدر نفسه ١/ ٣٠٧: "ولولا أن التوبة اسم جامع لشرائع الإسلام وحقائق الإيمان لم يكن الرب تعالى يفرح بتوبة عبده ذلك الفرح العظيم" اهـ.

(٣) تفسير الطبري ٤/ ٣٩٥، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٤٠٣، وتفسير البغوي ١/ ٢٥٩.

(٤) مجموع الفتوى ١/ ١٥.

وإنما قال: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ وصدر بها هذه الجملة؛ لأن التوبة وطهارة القلب هي الأهم، وهي الأصل الذي تقوم عليه طهارة البدن، كقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ البقرة: ١٩٧.

القول الثاني: حمل بعض المفسرين قوله تعالى: ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ على التطهر من الشرك والذنوب.

قال مقاتل بن حيان: يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك.

وقال سعيد بن جبير: التوابين من الشرك والمتطهرين من الذنوب.

وقال مجاهد: التوابين من الذنوب، لا يعودون فيها، والمتطهرين منها،لم يصيبوها[1].

فعلى قول مقاتل وسعيد يكون بين قوله: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ وقوله: ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ عموم وخصوص؛ لغرض التأكيد.

وعلى قول مجاهد يكون المراد بـ﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ مَن لم يتدنس بالذنب أصلا، ويكون المراد بـ﴿ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ مَن صدق في إقلاعه عن الذنب بعد الوقوع فيه.

والأولى أن يكون المراد بـ﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ شاملا للقولين، متضمنا للطهارتين: الحسية، والمعنوية. فالله تعالى يحب المتطهرين من الشرك وجميع الذنوب، كما أنه يحب المتطهرين بالماء من الأحداث والنجاسات، ويحب المتطهرين من إتيان النساء في فروجهن زمن الحيض، أو إتيانهن في أدبارهن.

والتعبير بـ﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ هنا يشمل الرجال والنساء.

قال الإمام الطبري: " وإنما قال: ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾، ولم يقل" المتطهرات"، لأنه قد جرى قبل ذلك ذكرُ التطهر للنساء – يعني في قوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ –، ولأن﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ يجمع الرجال والنساء، ولو قال " المتطهرات"،لم يكن للرجال في ذلك حظ، وكان للنساء خاصة. فذكر الله تعالى﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ليعم جميعَ عباده المكلفين؛ إذ كان قد تعبَّد

(١) تفسير الطبري ٣٩٦/٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٤٠٣/٢، وتفسير البغوي ٢٥٩/١.

جميعَهم بالتطهر بالماء، وإن اختلفت الأسباب التي توجب التطهر عليهم بالماء في بعض المعاني، واتفقت في بعض" انتهى كلامه ببعض اختصار وتصرف[1].

والخلاصة أن ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ هو محل **الاستطراد** في هذا الشاهد؛ لأن ما جاء في الآية من أمر ونهي متعلق بالطهارة الحسية، فكان المناسب – فيما يظهر – أن يعلل ذلك ببيان محبته جل وعلا للمتطهرين فحسب، ولكنه استطرد ببيان محبته للتوابين، بل وقدمه على المتطهرين؛ فنبه على جنس من الطهارة هو أشرفها؛ فجاء التعليل في خاتمة الآية في غاية الجمال والجلال والكمال.

والغرض من هذا **الاستطراد** بيان أن هذه الأحكام المتعلقة بالوطء التي دلت عليها الآية؛ إنما هي لطف منه تعالى بعباده، وصيانة لهم عن الأذى، وأن حكمتها البالغة ومقصودها الأسمى هو تطهيرهم ظاهرا وباطنا [2].

الشاهد الثالث :

قال الله تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ **البقرة: ٢٣٨ – ٢٣٩.**

جاءت هاتان الآيتان معترضتين خلال آيات الطلاق؛ فالحديث قبلهما كان عن: أحكام الإيلاء، والطلاق بنوعيه، والرضاعة، والعدة، ومتاع المطلقات. ثم أمر بالمحافظة على الصلوات، ثم عاد الحديث عن: العدة، ومتاع المطلقة.

وبيان وجه الاستطراد في الآيتين يتطلب بعض التمهيد؛ فإن المتأمل في آيات الطلاق هنا يلحظ أن مقصودها هو إصلاح العلاقة بين الزوجين، وهي علاقة تُبنى في أصلها على

---

(١) تفسير الطبري ٤/ ٣٩٦.

(٢) انظر: تفسير السعدي ص ١٠٠، والتحرير والتنوير ٢/ ٣٧٠.

المودة والرحمة بين الطرفين، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ ﴾ الروم: ٢١ .

فإذا اختل هذا الأصل أو غاب، اضطرب حالهما، وساءت عشرتهما، وساد بينهما الخلاف والشقاق، الذي يعصف بالعلاقة الزوجية، فينتهي الأمر في الغالب بالطلاق.

ومن أعظم أسباب ذلك استيلاء الشح على النفوس وتمكنه منها، فيمنع من الصلح والتسامح، كما قال عز وجل: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ النساء: ١٢٨.

فإذا خافت المرأة من زوجها أن ينفر عنها، أو يعرض عنها؛ فلها أن تصالحه، فتسقط حقها أو بعضه، من نفقة أو كسوة، أو مبيت، أو غير ذلك من الحقوق عليه، وله أن يقبل ذلك منها؛ فلا جناح عليها في بذلها ذلك له، ولا عليه في قبوله منها. بل امتدح الله الصلح وأنه خير من الفراق. وفيه دلالة على تشوف الشارع الحكيم وحرصه على بقاء حبل الزوجية موصولا. ويشير قوله: ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ إلى أن الشح من أعظم موانع الصلح وبقاء العشرة بين الزوجين، فالشح: أقبح البخل، وحقيقته: الحرص على منع الخير، فيشح كل واحد من الزوجين بنصيبه من الآخر، فيتعذر الصلح، فيحصل الفراق [1].

ودل قوله: ﴿ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ ﴾ على أن من أسباب زوال سلطان الشح عن النفوس هو تربيتها على العدل والإحسان في معاملة الخلق، فقوله: ﴿ وَتَتَّقُوا۟ ﴾ ، أي: الجور، بلزوم العدل [2].

(١) انظر: تفسير البغوي ٢/ ٢٩٥، وتفسير ابن كثير ٢/ ٤٢٦، وتفسير السعدي ص٢٠٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٩/ ٢٨٣، وتفسير البغوي ٢/ ٢٩٥.

وهذا المعنى بعينه هو ما نبهت إليه الآية التي ختم بها المقطع الأول من آيات الطلاق، حيث قال تبارك وتعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ﴾ البقرة: ٢٣٧.

فرغب في العفو، وأن من عفا، كان أقرب لتقواه؛ لكونه إحسانا إلى الناس وإلى النفس، موجبا لشرح الصدر. كما رغب في الفضل وبذله؛ فهو أعلى درجات المعاملة؛ لأن معاملة الناس فيما بينهم على درجتين: إما عدل وإنصاف واجب، وهو: أخذ الواجب، وإعطاء الواجب، وإما فضل وإحسان، وهو إعطاء ما ليس بواجب، وتركه؛ بعدم المطالبة به والتسامح فيه [1].

فنبه بهذه الخاتمة إلى أن المعاملة بالحسنى من أعظم أسباب صلاح العلائق بين الخلائق، وهي سر متانة صلة المؤمن بأخيه ودوام العشرة بين الزوجين.

ثم **استطرد**، فقال عز وجل: **حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ** ...الآيتين؛ فنبه إلى صلة، هي أشرف وأعظم، وهي صلة المؤمن بربه؛ فإن تقويتها والعناية بها كفيلة بإصلاح علاقته بالخلق؛ فإنها تصلح القلب، وتغرس فيه حب بذل المعروف والإحسان إلى الخلق.

وطريق إصلاح العلاقة بالله وسببها الأعظم هو المحافظة على فريضة الصلاة بأوقاتها وأركانها وواجباتها وخشوعها وسننها ومكملاتها في جميع الأحوال، إلا في حال الخوف الشديد، فيؤديها حسب استطاعته، لكن في وقتها [2].

وسر الصلاة الخاشعة المكمَّلة أنها تغرس في قلب صاحبها وازعا يأمره بفعل الخيرات والمسارعة إليها، وينهاه عن الفحشاء والمنكر، ويحول بينه وبين الوقوع فيهما.

---

(١) انظر: تفسير السعدي ص ١٠٥.

(٢) انظر: تفسير البغوي ١/ ٢٩٠، وتفسير ابن كثير ١/ ٦٥٤.

أخرج الطبري[1] بسنده عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله: **إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ**، يقول: في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أنه قال في تفسيرها: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بُعدا.

وأخرج الطبري بسنده عن ابن مسعود، رضي الله عنه أنه قال: من لم تأمره صلاته بالمعروف، وتنهه عن المنكر، لم يزدد بها من الله إلا بعدا.

وأخرج أيضا عن الحسن وقتادة أنهما قالا: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، فإنه لا يزداد من الله بذلك إلا بعدا.

وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية – عن سر اختصاص الصلاة بهذه الصفة – بقوله: "إن النفس إذا قام بها ذكر الله ودعاؤه – لاسيما على وجه الخصوص – أكسبها ذلك صبغة صالحة تنهاها عن الفحشاء والمنكر، كما يحسه الإنسان من نفسه، ولهذا قال تعالى: **ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ البقرة: ٤٥**، فإن القلب يحصل له من الفرح والسرور وقرة العين ما يغنيه عن اللذات المكروهة، ويحصل له من الخشية والتعظيم لله والمهابة. وكل واحد من رجائه وخشيته ومحبته ناه ينهاه" اهـ[2].

وقال السعدي: "ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن العبد المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تعدم رغبته في الشر، فبالضرورة، مداومتها والمحافظة

---

(١) انظر هذه الرواية والروايات التالية في تفسير الطبري ٢٠/٤١، وتفسير ابن أبي حاتم ١١/٤٤٥، والدر المنثور ٦/٤٦٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/١٩٢.

عليها على هذا الوجه، تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها"اهـ [1].

ومن كان يصلي الصلوات الخمس، لكنه مرتكب للفواحش والمنكرات؛ فهذا يعود إلى خلل ونقص في صلاته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" إن الصلاة إذا أتي بها كما أمر؛ نهته عن الفحشاء والمنكر، وإذا لم تنهه؛ دل على تضييعه لحقوقها وإن كان مطيعًا. وقد قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ مريم: ٥٩. وإضاعتها التفريط في واجباتها وإن كان يصليها. والله أعلم " اهـ [2].

وقد أشار صاحب نظم الدرر [3] إلى أن قوله تعالى في آية مريم: **وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ** بعد قوله: **أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ** يدل على أن تضييعهم للصلاة حتى صارت صلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ قد أدى بهم إلى إتباع الشهوات وركوب المعاصي.

الشاهد الرابع :

قال الله تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ البقرة: ٢٦٩.

الاستطراد في هذه الآية ظاهر؛ فهذه الآية وثيقة الصلة بالتي قبلها، وهي قوله عز وجل: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٦٨ .

ووجه ذلك: أن الله تعالى لما أمر بالإنفاق من الكسب الطيب والحذر من تيمم الخبيث منه؛ حيث قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ

---

(١) تفسير السعدي ص ٦٣٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٦/٢٢.

(٣) انظر نظم الدرر للبقاعي ٥٤٥/٤.

﴿ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ **البقرة: ٢٦٧**، وختم الآية ببيان أن أمرهم بالصدقات وبالطيب منها مردود نفع ذلك عليهم، وإلا فهو غني عنهم وعن صدقاتهم،وعن جميع خلقه، وجميع خلقه فقراء إليه، وهو واسع الفضل والعطاء، وهو المحمود في أفعاله وأقواله وأحكامه الشرعية والقدرية[١].

بين بعدها عز وجل سبب هذا السلوك المشين في الصدقة، فقال في الآية التالية: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾، أي أن الشيطان يخوفكم بالفقر، ويقول للرجل أمسك عليك مالك، فإنك إذا تصدقت به، افتقرت، ويأمركم بالفحشاء، والمراد بها: جميع المعاصي، وفي مقدمتها: البخل[٢]، فيغريكم عليه، وعلى والإمساك عن بذل الصدقة، فيحملكم صنيع الشيطان هذا على بذل الخبيث دون الطيب في الصدقات [٣].

ثم دعاهم تبارك وتعالى إلى عدم الاستجابة لوساوس الشيطان وخطراته، فوعدهم عز وجل بمغفرة منه عظيمة وفضل منه جزيل، فقال: **وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا**.

فقابل أمره لهم بالفحشاء بالمغفرة، وقابل تخويفه لهم بالفقر بالفضل [٤].

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في معنى قوله تعالى: **مَّغْفِرَةً**، أي: مغفرة منه على هذه المعاصي، وفي قوله: **وَفَضْلًا**، أي: في الرزق.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/٦٩٩، وتفسير السعدي ص١١٥.

(٢) والفاحش، عند العرب هو البخيل. قال طرفة: أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي... عقيلة مال الفاحش المتشدّد. تفسير الرازي ٧/٥٦، ومحاسن التأويل للقاسمي ٢/٢٠٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٥/٥٧١، ومعاني القرآن للزجاج ١/٣٥١، وتفسير البغوي ١/٣٣٣، وتفسير أبي السعود ١/٢٦٢.

(٤) تفسير ابن كثير ١/٧٠٠.

وأخرج عن قتادة أنه قال في قوله: **مَّغْفِرَةً**، أي:مغفرة لفحشائكم، وفي قوله: **وَفَضْلًا**، أي: لفقركم [1].

وختم الآية بما يؤكد وعده بالفضل، فقال: **وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ**، أي:واسع الفضل، عظيم الإحسان، عليم بما يصدر منكم من النفقات، قليلها وكثيرها، سرها وعلنها، فيجازيكم عليها من سعته وفضله وإحسانه [2].

ثم **استطرد**، فنبه إلى جنس من الفضل والعطاء الرباني للعبد هو أشرف من المال وأعظم، وهو إيتاء الحكمة، فقال: ﴿**يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾

والحكمة هي الفقه في الدين.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما :الحكمة يعني المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله [3].

وأخرج ابن مردويه بإسناد ضعيف عن جُوَيْبر، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: الحكمة: القرآن. يعني: تفسيره. قال ابن عباس: فإنه قد قرأه البر والفاجر.

وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد: **يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ** ليست بالنبوة، ولكنه العلم والفقه والقرآن.

وقال أبو العالية: الحكمة خشية الله، فإن خشية الله رأس كل حكمة.

وعن ابن مسعود رضي الله عنهما مرفوعًا: "رأس الحكمة مخافة الله".

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٢/٥٣٠.

(٢) تفسير السعدي ص١١٥.

(٣) انظر هذا القول وبقية الأقوال في تفسير الحكمة في تفسير الطبري ٣/٧٨، وتفسير البغوي ١/٣٣٤، وتفسير ابن كثير ١/٧٠٠.

وقال أبو العالية عن ابن مسعود: الحكمة: الكتاب والفهم.

وقال إبراهيم النخَعي: الحكمة: الفهم.

وقال مالك: وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة : الفقه في دين الله، وأمْرٌ يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله، ومما يبين ذلك، أنك تجد الرجل عاقلا في أمر الدنيا ذا نظر فيها، وتجد آخر ضعيفًا في أمر دنياه، عالمًا بأمر دينه، بصيرًا به، يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا، فالحكمة: الفقه في دين الله.

وذهب السدي إلى أن الحكمة: النبوة.

ورجح الإمام الطبري أن الحكمة هي العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنها مأخوذة من"الحكم" بمعنى الفصل بين الحق والباطل، يقال منه:"إن فلانا لحكيم بين الحكمة"، أي : إنه لبين الإصابة في القول والفعل.

وذكر رحمه الله أن جميع ما قيل في تفسير الحكمة داخل في هذا القول؛ لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة. وأن من كان كذلك كان مفهما خاشيا لله فقيها عالما. وذكر أن النبوة بعض معاني الحكمة [1].

وقال الحافظ ابن كثير :" والصحيح أن الحكمة –كما قاله الجمهور –لا تختص بالنبوة، بل هي أعم منها، وأعلاها النبوة، والرسالة أخص، ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبَع، كما جاء في بعض الأحاديث: (**من حَفِظَ الْقُرْآنَ فَقَدِ أُدْرِجَت النُّبُوَّةُ بَيْنَ كَتِفَيهِ غَيْرَ أَنَّهُ لا يُوحَى إِلَيْهِ** [2]) اهـ [3].

---

(١) انظر تفسير الطبري ٣/ ٧٨، ٥/ ٥٧٩.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٧٣٨– حديث رقم ٢٠٢٨، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في الشعب ٢/ ٥٢٢– حديث رقم ٢٥٩١. ورواه موقوفا على عمرو بن العاص رضي الله عنه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٥٣، رقم الأثر ٨–٩، وابن المبارك في الزهد ص ٢٧٥، رقم الأثر ٧٩٩، وابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ١٢٠، رقم الأثر ٢٩٩٥٣، والبيهقي في الشعب ٢/ ٥٢٢، رقم الأثر ٢٥٩٠. وقد ضعف الألباني هذا الحديث وقال: لعل الصواب وقفه على عمرو رضي الله عنه. انظر السلسلة الضعيفة ١١/ ٢٢٠ – حديث رقم ٥١١٨.

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٧٠١.

وقال السعدي: " الحكمة، هي: العلم النافع، والعمل الصالح، ومعرفة أسرار الشرائع وحكمها" اهـ [1].

وقال أيضا: " فكمال العبد متوقف على الحكمة؛ إذ كماله بتكميل قوتيه العلمية والعملية؛ فتكميل قوته العلمية بمعرفة الحق ومعرفة المقصود به، وتكميل قوته العملية بالعمل بالخير وترك الشر، وبذلك يتمكن من الإصابة بالقول والعمل وتنزيل الأمور منازلها في نفسه وفي غيره" اهـ [2].

وقال ابن عاشور: " الحكمة إتقان العلم وإجراء الفعل على وفق ذلك العلم " [3].

فتبين من مجموع هذه الأقوال – التي قيلت في تفسير الحكمة– أن المراد بمن أوتي الحكمة: هو من آتاه الله ميراث الأنبياء؛ فمنَّ عليه بإتقان العلم، والفقه في دين الله، وعلم تأويل القرآن، وأتبعه بالعمل؛ فأورثه ذلك إخباتا، وخشية لله تعالى.

ولهذا لما جمعت الحكمة كل هذه المعاني الشريفة؛ قال تعالى في الآية نفسها: **وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**.

وهذا مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم : **(مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)** متفق عليه من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما [4].

فتنكير قوله: **خَيْرًا**؛ للتكثير والتعظيم [5]. وأعظم هذا الخير هو تحصيل رضوان الله تعالى ودخول الجنة؛ لأن من بركات الفقه في الدين أنه يقود إلى تقوى الله تعالى ومرضاته والجنة[6].

---

(١) تفسير السعدي ص ١١٥.

(٢) المصدر السابق ص ١١٥.

(٣) التحرير والتنوير ٢/٥٣١.

(٤) صحيح البخاري ١/٣٩ – كتاب العلم – باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين – حديث رقم ٧١، وصحيح مسلم ٣/٩٤ – كتاب الزكاة – باب النهي عن المسألة – حديث رقم ٢٤٣٦.

(٥) انظر فيض القدير للمناوي ٦/٢٤٢.

(٦) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٧/١٢٨.

وبهذا صارت الحكمة من أعظم ما يغبط عليه المؤمن.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)** متفق عليه[1]. ومعنى لا حسد، أي: لا غبطة [2].

وقد جاء تفسير الحكمة في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لاَ حَسَدَ إِلاَّ عَلَى اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ هَذَا الْكِتَابَ فَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَتَصَدَّقَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ)** متفق عليه [3].

وعند الإمام أحمد [4]، والطبراني في الكبير[5]، من حديث يزيد بن الأخنس السلمي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(لَا تَنَافُسَ بَيْنَكُمْ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ وَيَتَّبِعُ مَا فِيهِ)** الحديث.

وبهذا يتبين أن الاستطراد في هذه الآية يعد من ألطف الاستطراد وأجمله.

الشاهد الخامس :

قال الله تعالى: ﴿ **يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ** ﴾ الأعراف: ٢٦.

---

(١) صحيح البخاري ٣٩/١ – كتاب العلم – باب الاغتباط في العلم والحكمة – حديث رقم ٧٣، وصحيح مسلم ٢٠١/٢ – كتاب صلاة المسافرين– باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها – حديث رقم ١٩٣٣.

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٩٧/٦.

(٣) صحيح البخاري ١٩١٩/٤– كتاب فضائل القرآن – باب اغتباط صاحب القرآن – حديث رقم ٤٧٣٧، وصحيح مسلم ٢٠١/٢ – كتاب صلاة المسافرين– باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها – حديث رقم ١٩٣١.

(٤) المسند ١٦٧/٢٨ – حديث رقم ١٦٩٦٦.

(٥) المعجم الكبير ٢٣٩/٢٢ – حديث رقم ١٨٤٧٨. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠٣/٢، عند الحديث رقم ٣٥٤٤ :" رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات ". وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٥٤/١– حديث رقم ٦٣٦.

هذه الآية جاءت تعقيبا على قصة آدم عليه السلام مع إبليس، وقد جاءت مفصلة في هذه السورة، وكان من مشاهد القصة: سعي إبليس الحثيث في إغواء آدم وزوجه وإيقاعهما في المعصية وإخراجهما من الجنة.

قال تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٩ – ٢٢.

ويلاحظ أن القرآن عبر عن أثر معصية آدم وزوجه بأثر حسي مشاهد، وهو ظهور سوءتيهما، فقال: **فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا** ..بل صرح قبلُ بأن هذا كان غرضا للشيطان، فقال: **فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا**.

وهذا يدل على علاقة بين الأثر الحسي والمعنوي للمعصية.

قال السعدي:" فصار للعري الباطن من التقوى في هذه الحال أثر في اللباس الظاهر، حتى انخلع فظهرت عوراتهما " اهـ [1].

والذي يظهر أن صنيع إبليس في كشف السوءتين هو من سعيه في تغيير فطرة آدم وزوجه القائمة على الستر والحياء من الله تعالى، فأراد الخبيث نزع ذلك، ليكونا أجرأ على المعصية.

لذا جاء التعقيب على ذلك بدعوة الناس إلى لزوم ستر العورات، وجاء النداء بـ **يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ**، إشارة إلى أنه الفطرة التي فطر الله آدم وبنيه عليها، فقال عز وجل: **يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗا**.

---

(١) تفسير السعدي ص٢٨٥.

ولما كانت حاجة الناس إلى هذا الستر واللباس من ضروريات الفطرة، تضمن هذا النداء من الله لعباده عظيم منته عليهم، بما سخر لهم من لباس، لستر العورة، وآخر، للتجمل.

قال الحافظ ابن كثير: " يمتن تبارك وتعالى على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش، فاللباس المذكور هاهنا، لستر العورات، وهي السوءات، والرياش والريش: هو ما يتجمل به ظاهرا. فالأول من الضروريات، والريش من التكملات والزيادات " اهـ [1].

ثم استطرد، لبيان ما هو أهم في هذا السياق، فقال تبارك وتعالى: **وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ**.

قال الزمخشري: " وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليها، إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأنّ التستر باب عظيم من أبواب التقوى " اهـ [2].

فنبه بهذا **الاستطراد** إلى جنس من اللباس – أي لباس التقوى – هو أشرف وأعظم أثرا من اللباس الحسي، أعني لباس البدن.

وهذا هو وجه الدلالة من الآية على هذا الشاهد.

الشاهد السادس :

قال الله تعالى: ﴿ **وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ** ﴾ الأعراف: ٥٨.

هذه الآية وثيقة الصلة بالتي قبلها، وهي قوله عز وجل: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ** ﴾ الأعراف: ٥٧.

ووجه ذلك يتبين ببيان تفسير الآيتين.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩٩.

(٢) الكشاف ٢/ ٩٧.

أما تفسير هذه الآية فقال الإمام الطبري في معناها:" والله الذي يرسل الرياح ليّنًا هبوبها، طيبًا نسيمها، أمام غيْثه الذي يسوقه بها إلى خلقه؛ فينشئ بها سحابًا ثقالا، حتى إذا أقلتها – والإقلال بها: حملها؛ كما يقال:استقل البعير بحمله، وأقله؛ إذا حمله؛ فقام به – ساقه الله؛ لإحياء بلد ميت، قد تعفَّت مزارعه، ودَرَست مشاربه، وأجدب أهلُه؛ فأنزل به المطر، وأخرج به من كل الثمرات" اهـ [1].

وأما تفسير الآية الثانية، فعن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسيرها: فهذا مثل ضربه الله للمؤمن. يقول: هو طيب، وعمله طيب، كما البلد الطيب ثمره طيب. ثم ضرب مثلَ الكافر كالبلدة السَّبِخة المالحة التي يخرج منها النز؛ فالكافر هو الخبيث، وعمله خبيث. وبنحوه قال السدي [2].

وعليه فوجه العلاقة بين الآتين ظاهر.

قال ابن القيم :".. من الأرض ما يكون أرضا طيبة؛ فإذا أنزلنا عليها الماء؛ أخرجت نباتها، بإذن ربها. ومنها ما تكون أرضا خبيثة، لا تخرج نباتها إلا نكدا، أي: قليلا، غير منتفع به. فهذه إذا أنزل عليها الماء؛ لم تخرج ما أخرجت الأرض الطيبة.

فشبه سبحانه الوحي الذي أنزله من السماء على القلوب بالماء الذي أنزله على الأرض؛ بحصول الحياة بهذا وهذا.

وشبه القلوب بالأرض؛ إذ هي محل الأعمال، كما أن الأرض محل النبات، وأن القلب الذي لا ينتفع بالوحي ولا يزكو عليه ولا يؤمن به كالأرض التي لا تنتفع بالمطر ولا تخرج نباتها به إلا قليلا لا ينفع. وأن القلب الذي آمن بالوحي وزكا عليه وعمل بما فيه كالأرض التي أخرجت نباتها بالمطر.

---

(١) تفسير الطبري ٤٩٢/١٢. وقد جاء في قوله تعالى: وجوها عديدة في القراءة، يمكن مراجعتها في السبعة في القراءات ص٢٨٣، والنشر في القراءات العشر ٢٦٩/٢، والمحرر الوجيز لابن عطية ٤١١/٢، والبدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضي ص١١٨.

(٢) تفسير الطبري ٤٩٦/١٢. وانظر تفسير ابن أبي حاتم ١٥٠٣/٥، وتفسير البغوي ٢٣٩/٣.

فالمؤمن إذا سمع القرآن وعقله وتدبره، بان أثره عليه، فشبه بالبلد الطيب الذي يمرع ويخصب ويحسن أثر المطر عليه، فينبت من كل زوج كريم. والمعرض عن الوحي عكسه. والله الموفق" اهـ [1].

وهذا الاتصال الوثيق بين الآيتين جاء على وجه الاستطراد، فالآية الثانية تعد استطرادا بالنسبة للآية الأولى.

قال الزمخشري: "وهذا التمثيل واقع على أثر ذكر المطر، وإنزاله بالبلد الميت، وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد" [2].

ووجهه: أنه نبه في الآية الثانية على جنس من الغيث أشرف وأعظم نفعا، وهو القرآن، واختلاف القلوب في تلقيه والانتفاع به.

الشاهد السابع :

قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ **النحل: ٩.**

سورة النحل تسمى سورة النعم، كما قال قتادة؛ لكثرة ما عدد فيها من النعم [3].

بدأها بنعمة إرسال الملائكة وبعث الرسل، وثنى بنعمة خلق السموات والأرض، وثلث بنعمة خلق الإنسان.

قال عز وجل: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ **النحل: ٢ – ٤ .**

---

(١) إعلام الموقعين ١/١٠٨.

(٢) الكشاف ٢/١١٢.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٧/٢٢٩٥، والهداية لمكي بن أبي طالب ٦/٣٩٤٤، والمحرر الوجيز لابن عطية ٣/٣٧٧، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ١٦/١٦٠.

تلاه بذكر النعمة الرابعة: وهي الأنعام، وبين منافعها الكثيرة، وأردفه بأنواع أخرى من المركوبات؛ فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٥ – ٨.

ولما كانت نعمة الركوب من أعظم منافع هذه الحيوانات، وأنها تحمل الإنسان وأثقاله من خلال سبل محسوسة إلى غاياته ولو بعدت؛ **استطرد**؛ فذكر سبيلا معنويا هو أعظم، يوصل إلى أشرف الغايات وأكرم المنازل؛ فقال: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ النحل: ٩.

قال الحافظ ابن كثير: " لما ذكر تعالى من الحيوانات، ما يسار عليه في السبل الحسية، نبه على الطرق المعنوية الدينية. وكثيرا ما يقع في القرآن العبور من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية النافعة الدينية، كما قال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ البقرة: ١٩٧، وقال: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ الأعراف: ٢٦.

ولما ذكر في هذه السورة الحيوانات، من الأنعام وغيرها– التي يركبونها ويبلغون عليها حاجة في صدورهم، وتحمل أثقالهم إلى البلاد والأماكن البعيدة والأسفار الشاقة –شرع في ذكر الطرق التي يسلكها الناس إليه، فبين أن الحق منها ما هي موصلة إليه؛ فقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ..." اهـ [1].

فنبه بهذا **الاستطراد** إلى سبيل هو من جنس السبل الحسية التي توصل إلى غاياتها، لكن هذا السبيل هو أشرف السبل وأعظمها؛ لأنه الموصل إلى أشرف الغايات والمنازل، وهو رضوان الله تعالى والجنة.

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٦٠. وانظر: محاسن التأويل للقاسمي ٦/ ٣٥٤.

الشاهد الثامن :

قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ الإسراء: ٧١.

جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ الإسراء: ٧٠.

أي أن الله تعالى كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم: بالعلم، والعقل، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة، وحملهم على المراكب البرية والبحرية، ورزقهم من طيبات المآكل والمشارب والملابس والمناكح، مما لا يعد ولا يحصى؛ فما من طيب تتعلق به حوائجهم إلا وقد أكرمهم الله به ويسره لهم غاية التيسير. بل وفضلهم على كثير من خلقه؛ بما خصهم به من المناقب وفضلهم به من الفضائل [1].

ثم **استطرد**؛ فنبه إلى جنس آخر من التكريم يكون في الآخرة، هو أجل وأشرف، لا يناله إلا أهل الإيمان من بني آدم؛ فقال عز وجل: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ الإسراء: ٧١.

وفي هذا إشارة إلى أن الإيمان هو أعظم ما يكرم الله به المصطفين من عباده في الدنيا.

الشاهد التاسع :

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ طه: ١١٣ – ١١٤.

---

(١) انظر: تفسير السعدي ص ٤٦٣.

لما كان قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ يتعلق بتلقي ألفاظ القرآن وحفظه، **استطرد**؛ فنبه على جنس من العلم هو أجل وأشرف، وهو العلم بالمعاني؛ فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ .

ووجه ذلك:

أن صلة الآية الأولى بما قبلها: هو أنه عز وجل في نهاية قصة موسى عليه السلام – وقد استغرقت أكثر السورة – مدح الطريقة التي عرض بها القرآن قصص السابقين وما فيها من التصريف والتنويع، ثم مدح كتابه عموما؛ ثم توعد المعرضين عنه، وبين سوء عاقبتهم في الآخرة.

قال تبارك وتعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ **طه: ٩٩ – ١٠١.**

ثم ذكر أهوال يوم القيامة وأحوال الناس فيها، وأطنب في ذلك، وختم المقطع بقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ **طه: ١١٢** .

ثم عاد مرة أخرى فأشاد بالقرآن، وأكد جلالة قدره؛ فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ .

فتضمنت هذه الآية مدحا وإشادة بالقرآن العظيم من ثلاثة وجوه [1]:

الأول: كونه من عند الله، ولذا جاء الامتنان بإنزال القرآن بنون العظمة: ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾.

الثاني: كونه ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ ؛ فإنه جاء بلسان عربي مبين؛ كي يفهموه ويفقهوه، ولا يخفى عليهم لفظه، ولا معناه.

الثالث: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ ،أي: وخوّفناهم فيه بضروب من الوعيد.

ومجيء القرآن على هذه الأحوال؛ إنما هو رحمة من الله تبارك وتعالى بعباده؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ .

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٣٨١/١٨، وتفسير القرطبي ٢٥٠/١١.

فلما ذكر عز وجل حكمه الجزائي في عباده في الدار الآخرة، وحكمه الشرعي، الذي أنزله في كتابه، وكان هذا من آثار ملكه؛ قال بعدها مادحا لنفسه معظما لها، وهو حقيق بذلك : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ ، أي: جل ﴿ٱللَّهُ﴾ وارتفع وتقدس بذاته وأسمائه وصفاته عن كل نقص وآفة، ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ الذي الملك وصفه، وأحكامه القدرية والشرعية، نافذة في جميع خلقه، ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في وجوده وملكه وكماله [1].

ولما كان الحديث في تعظيم القرآن وذم المعرضين عنه؛ ناسب أن يوجه نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يتمهل في تلقي القرآن؛ فقال عز وجل: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [2].

قال البغوي: "﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ أراد النبي صلى الله عليه وسلم؛ كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن؛ يبادر فيقرأ معه، قبل أن يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة، ومخافة الانفلات والنسيان؛ فنهاه الله عن ذلك، وقال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ ، أي: لا تعجل بقراءته ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ ، أي: من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ. نظيره قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ القيامة: ١٦" اهـ [3].

وقال ابن كثير: " وقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ ، كقوله تعالى: في سورة "لا أقسم بيوم القيامة" : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ القيامة: ١٦ – ١٩. وثبت في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعالج من الوحي شدة، فكان مما يحرك لسانه، فأنزل الله هذه الآية.. يعني: أنه، عليه السلام، كان إذا جاءه جبريل بالوحي، كلما قال جبريل آية قالها معه، من شدة حرصه على حفظ القرآن؛ فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه؛ لئلا يشق عليه.

---

(١) انظر: تفسير السعدي ص ٥١٤.

(٢) انظر: نظم الدرر للبقاعي ٣٥٢/١٢، والتحرير والتنوير ٢٣٥/١٦.

(٣) تفسير البغوي ٢٩٧/٥.

فقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾، أي: أن نجمعه في صدرك، ثم تقرأه على الناس من غير أن تنسى منه شيئا، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾، وقال في هذه الآية: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾، أي: بل أنصت، فإذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقرأه بعده" اهـ [1].

ولما كان قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ يتعلق بتلقي ألفاظ القرآن وحفظه؛ **استطرد**؛ فنبه إلى جنس من العلم أشرف وأعظم، وهو العلم بمعاني القرآن والفقه فيه؛ فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾. قال البغوي: "يعني بالقرآن ومعانيه"[2].

الشاهد العاشر :

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ النور: ٦٢.

جاء الحديث عن الاستئذان في سورة النور في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول: الاستئذان عند دخول البيوت، في ثلاث آيات.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ النور: ٢٧ – ٢٩.

---

(١) تفسير ابن كثير ٥ / ٣١٩.

(٢) تفسير البغوي ٥ / ٢٩٧.

الموضع الثاني: الاستئذان داخل البيوت، في آيتين.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ النور: ٥٨ – ٥٩.

وبعض المفسرين[1] يعد الآيتين التاليتين من متعلقات الاستئذان داخل البيوت؛ فيلحقهما به.

قال تعالى: ﴿ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ **النور: ٦٠ – ٦١.**

قال أبو حيان، مبينا صلة الآية الأولى بما قبلها: "ولما أمر تعالى النساء بالتحفظ من الرجال ومن الأطفال غير البلغ، في الأوقات التي هي مظنة كشف عورتهن، استثني

(١) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ٧٠/٨، ونظم الدرر للبقاعي ٣١٣/١٣، والتحرير والتنوير ٢٩٩/١٨.

القواعد من النساء، اللاتي كبرن وقعدن عن الميل إليهن والافتتان بهن؛ فقال: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ... الآية " اهـ [1].

أما الآية الثانية، فاختلف المفسرون في المعنى الذي رفع من أجله الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض هاهنا، على أقوال [2]، أكثرها يتعلق بالأكل. وعلى هذا تكون هذه الجملة متصلة بما بعدها، وهو قوله: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ ... الآية.

وذكر الطاهر ابن عاشور [3] أن المختار عند المحققين: أن قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ من تمام آية الاستئذان، وأن مناسبة ذكر هذه الرخص عقب الاستئذان، إنما قُصِد به الترخيص للأعمى أن لا يتعين عليه استئذان؛ لانتفاء السبب الموجب. ثم ذكر الأعرج والمريض إدماجا وإتماما لحكم الرخصة لهما، للمناسبة بينهما وبين الأعمى.

وأما مناسبة عطف الرخص في قوله: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ﴾ ... الآية – على رخصة الأعمى، فهو تعلقها بالاستئذان والدخول للبيوت سواء كان؛ لغرض الطعام فيها، أو كان؛ للزيارة ونحوها؛ لاشتراك الكل في رفع الحرج.

وعلى هذا تكون آيات الاستئذان داخل البيوت أربع آيات.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٧٠.

(٢) الأول: أنها نزلت في الجهاد، فلا إثم عليهم في ترك الجهاد، لضعفهم وعجزهم. الثاني: أن المراد أنهم كانوا يتحرجون من الأكل مع الأعمى، لأنه لا يرى الطعام وما فيه من الطيبات، فربما سبقه غيره إلى ذلك. ولا مع الأعرج، لأنه لا يتمكن من الجلوس، فيفتات عليه جليسه، والمريض لا يستوفي من الطعام كغيره، فكرهوا أن يؤاكلوهم، لئلا يظلموهم، فأنزل الله هذه الآية، رخصة في ذلك. الثالث: أنهم كانوا قبل المبعث يتحرجون من الأكل مع هؤلاء تقذرا وتقززا، ولئلا يتفضلوا عليهم، فأنزل الله هذه الآية. الرابع: كان الرجل يذهب بالأعمى أو الأعرج أو المريض إلى بيت أبيه أو بيت أخيه، أو أخته، فكانوا يتحرجون من ذلك، يقولون: إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم، فنزلت هذه الآية رخصة لهم. الخامس: كان المسلمون إذا غزوا خلفوا زمناهم، ويدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم، ويقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا، فكانوا يتحرجون من ذلك، ويقولون لا ندخلها وهم غيب، فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم. انظر: تفسير الطبري ١٩/ ٢١٩، وتفسير البغوي ٦/ ٦٣، وتفسير ابن كثير ٦/ ٨٤.

(٣) انظر: التحرير والتنوير ١٨/ ٣٠٠.

الموضع الثالث: الاستئذان في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، في مجامعه، في آيتين.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **النور: ٦٢ – ٦٣.**

واتصال هاتين الآيتين بما قبلهما ظاهر.

قال الحافظ ابن كثير: " وهذا أيضا أدب أرشد الله عباده المؤمنين إليه، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول، كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف –لاسيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة، أو اجتماع لمشورة ونحو ذلك " اهـ [1].

ويذكر المفسرون أن لها سببا؛ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد؛ لحاجة، أو عذر؛ لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يراه؛ فيعرف أنه إنما قام يستأذن؛ فيأذن لمن شاء منهم [2].

وروي أن هذه الآية نزلت في وقت حفر رسول الله صلى الله عليه وسلم خندق المدينة، وذلك أن بعض المؤمنين كان يستأذن؛ لضرورة. وكان المنافقون يذهبون دون استئذان [3].

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٨٨.

(٢) تفسير البغوي ٦/ ٦٧.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ٤/ ١٩٧.

وأما تفسير الآيتين: ففي الآية الأولى عظم الله تعالى شأن نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال: **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ** ، أي: إنما المؤمنون الكاملون في الإيمان الذين آمنوا بالله ورسوله حقا. **وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ** – كالجمعة، والأعياد، والحروب، والمشاورة في الأمور – لم يذهبوا، حتى يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيأذن لمن شاء منهم. ثم مدح المستأذنين، وأكد إيمانهم وتعظيمهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ** . ثم ضيق أمر الاستئذان، فقال: **فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ** ، فضبطه بشرطين: أحدهما: أن يكون الاستئذان لشأن معتبر من شئون المستأذن. والثاني: أن يكون بمشيئة الآذن، فتقتضيه المصلحة، من دون مضرة بالآذن. ثم أمر الله نبيه الكريم أن يستغفر لهم، فقال: **وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ** ، وهذا الأمر يشير إلى أن انصراف المستأذن خلاف ما ينبغي، لأن فيه ترجيحا لحاجته على حاجة الأمة[1].

ثم أكد عز وجل في الآية الثانية لزوم تعظيم المؤمنين للنبي صلى الله عليه وسلم، والتأدب معه عند مناداته ووجوب طاعته فيما يدعوهم إليه من مصالحهم، من الاجتماع، ووجوب الاستئذان، وغيره، فقال: **لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا** .

ثم حذرهم صفات المنافقين وطرائقهم في التنصل من التكاليف وتسللهم خفية دون استئذان وهم بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: **قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا** ، أي: يخرجون بخفية مستترين بغيرهم.

ثم توعد المخالفين لأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بعقوبة شديدة، فقال: **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** . والفتنة هي الشرك والشر[2].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٢٨/١٩، وتفسير البيضاوي ١١٥/٤، وتفسير السعدي ص ٥٧٦، والتحرير والتنوير ٣٠٧/١٨.

(٢) انظر تفسير الآية في: تفسير الطبري ٢٣١/١٩، وتفسير السعدي ص ٥٧٦، والتحرير والتنوير ٣٠٨/١٨.

فتبين مما تقدم أن هاتين الآيتين قد تناولتا نوعا آخر من الاستئذان، وعظمتا شأنه، وهو الاستئذان في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم في مجامعه.

فنبه **بالاستطراد** بهاتين الآيتين على جنس من الاستئذان هو أجل وأشرف من سابقيه.

الشاهد الحادي عشر :

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ **الزخرف: ١٢ – ١٤** .

ومعنى قوله **وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا** ، أي: الأصناف جميعها، مما تنبت الأرض، ومن أنفسهم، ومما لا يعلمون، من ليل ونهار، وحر وبرد، وذكر وأنثى، وغير ذلك. وقوله**وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ** أي: جعل لكم من السفن؛ فهي وسيلة السفر في البحر، ومن الإبل؛ فهي وسيلة السفر في البر ما تركبونه؛ **لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ** ، أي: لتستقروا عليها. وهذا شامل لظهور الفلك ولظهور الأنعام، **ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ** ؛ بالاعتراف بالنعمة لمن سخرها، والثناء عليه تعالى بذلك، ولهذا قال: **وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ** ، أي: لولا تسخيره لنا ما سخر من الفلك والأنعام، ما كنا مطيقين لذلك وقادرين عليه، ولكن من لطفه وكرمه تعالى سخرها وذللها ويسر أسبابها. وقوله: **وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ** ، أي: لصائرون إليه بعد مماتنا، وإليه سيرنا الأكبر [1].

ومحل الدلالة في هذا الشاهد هو قوله: **وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ** .

قال ابن كثير معلقا على هذه الآية: " وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة، كما نبه بالزاد الدنيوي على الزاد الأخروي في قوله: ﴿ **وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ** ﴾ **البقرة: ١٩٧**. وباللباس الدنيوي على الأخروي في قوله تعالى: ﴿ **وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ** ﴾ **الأعراف: ٢٦** " اهـ.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٧/ ٢٢٠، والبحر المحيط لأبي حيان ٩/ ٣٦١، وتفسير السعدي ص ٧٦٣.

وقال ابن القيم: "وتأمل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ الزخرف: ١٢ – ١٤. كيف نبههم بالسفر الحسي على السفر إليه؟. وجمع لهم بين السفرين كما جمع لهم الزادين في قوله: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ البقرة: ١٩٧. فجمع لهم بين زاد سفرهم وزاد معادهم. وكما جمع بين اللباسين في قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ الأعراف: ٢٦، فذكر – سبحانه – زينة ظواهرهم وبواطنهم" اهـ [1].

وعليه فهذه الآية **استطراد**؛ للتنبيه إلى جنس من السفر هو أشرف وأجل.

* * *

(١) إعلام الموقعين ١/١٧٣.

شواهد الضرب الثاني: الاستطراد، للتنبيه على ما هو أقبح من جنس القبيح

الشاهد الأول :

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٨٨.

هذه الآية ختمت بها آيات الصيام التي بدأت بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٨٣ إلى قوله: ﴿ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ البقرة:١٨٧.

وتضمنت هذه الآيات معظم أحكام الصيام، وكان منها: بيان أصول المفطرات في قوله: ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ .

ويعد الأكل هو المحظور الأكبر في نهار رمضان والشرب تابع له.

فلما ختمت آيات الصيام ببيان أصول المحرمات في نهار رمضان، وعلى رأسها الأكل؛ **استطرد** في الآية التالية؛ فنبه إلى جنس آخر من الأكل هو أقبح؛ لأنه يتعلق بحقوق العباد، وتحريمه ليس موقوتا، بل هو على الدوام، وهو أكل أموال الناس بالباطل؛ فقال عز وجل: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٨٨.

الشاهد الثاني :

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم

﴿مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٩٢ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾ النساء: ٩٢ – ٩٣.

سُبقت هاتان الآيتان بحشد من الآيات التي تناولت جهاد الكفار والحث على قتالهم، بدءاً من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾ **النساء: ٧١**. وخُتمت بأربع آيات تناولت حكم قتال المنافقين، الذين أظهروا إسلامهم في مكة، وأبطنوا الكفر، ولم يهاجروا [١].

وقد التبس أمرهم على بعض المؤمنين؛ فترددوا في قتالهم؛ فقال الله عز وجل على سبيل التعجب: • ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ النساء: ٨٨، إلى قوله: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾ النساء: ٩١.

ولما كان قتل المؤمن خطأً مما يُحتمل وقوعه في جهاد الكفار؛ استطرد بذكر أحوال قتل الخطأ وأحكامه، فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [٢].

---

(١) وهذا ما رجحه الإمام الطبري في تفسيره ٨ / ١٤، وكذلك السعدي في تفسيره ص ١٩١.

(٢) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٥ /١٩١.

ثم **استطرد** مرة أخرى، للتنبيه إلى جنس من القتل هو أقبح وأشنع عند الله تعالى، وهو قتل العمد، فقال عز وجل: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾.

وقد مهَّد قوله: **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا** لهذا الاستطراد، بمجيئه بهذه الصيغة، التي تفيد شدة الامتناع والمبالغة في النفي، فإن معناه: يمتنع ويستحيل أن يصدر من مؤمن قتل مؤمن متعمدا، في جميع الأحوال، إلا في حالة واحدة، وهي حالة الخطأ، فيكون الاستثناء هنا متصلا، لأنه الملائم لهذا التهويل، فدلت هذه الصيغة على شدة تحريم قتل العمد، وأنه مناف للإيمان أشد منافاة، وإنما يصدر ذلك إما من كافر، أو من فاسق قد نقص إيمانه نقصا عظيما [1].

الشاهد الثالث :

قال الله تعالى: ﴿ **وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ **الحجرات: ٧ – ٨ .**

افتتحت سورة الحجرات بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ **الحجرات: ١.**

هذا النهي عام في جميع أنواع التقديم بين يدي الله ورسوله، ولذا حسن استهلال السورة بهذه الآية.

والتقدم حقيقته: المشي قبل الغير، كما قال تعالى: ﴿ **يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ** ﴾ **هود: ٩٨**. ويقال: قَدَّم بمعنى تقَدَّم، كأنه قدم نفسه [2].

وقد جاء عن المفسرين في معنى التقديم في الآية ثلاثة أوجه [3]:

---

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٢/ ٩٢، وتفسير السعدي ص ١٩٢، والتحرير والتنوير ٥/ ١٥٦.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ٢٦/ ٢١٥.

(٣) انظر: تفسير البغوي ٧/ ٣٣٠، والدر المصون للحلبي ١٠/ ٥، وأضواء البيان للشنقيطي ٧/ ٤٠٠.

الأول: أن قوله: **:نُقَدِّمُواْ** هو مضارع قدَّم اللازم، بمعنى تقدم.

ويدل لهذا الوجه قراءة يعقوب: **لا تَقَدَّموا**، بفتح التاء والدال المشددة، وأصله: لا تتقدموا، فحذفت إحدى التاءين.

الثاني: أن قوله: **نُقَدِّمُواْ** هو مضارع قدَّم المتعدي، والمفعول محذوف؛ لإرادة التعميم، أي: لا تقدموا قولا ولا فعلا بين يدي الله ورسوله، بل أمسكوا عن ذلك؛ حتى تصدروا فيه عن أمر الله ورسوله.

الثالث: أنه مضارع قدَّم المتعدي، ولكنه أجري مجرى اللازم، وقطع النظر عن وقوعه على مفعوله؛ لأن المراد هو أصل الفعل، دون وقوعه على مفعول. فمعنى "لا تقدموا"، أي: لا تكونوا من المتصفين بالتقديم.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ** ﴾ **غافر: ٦٨**، أي هو المتصف بالإحياء والإماتة، ولا يراد في ذلك وقوعهما على مفعول بعينه.

والذي يظهر أن هذه الوجوه كلها صحيحة، يمكن حمل الآية عليها؛ فيكون المعنى: ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن أن يتقدموا بأنفسهم بين يدي الله ورسوله، أو يقدموا قولا أو فعلا على أمر الله ورسوله، فضلا أن يكون هذا التقدم عادة وديدن لهم.

ثم تلا هذه الآية ثلاث آيات تتناول نوعا من أنواع التقديم بين يدي الله ورسوله،وهو: رفع الصوت في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم.

قال تبارك وتعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ **الحجرات: ٢ – ٥.**

أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهم: (أنه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال أبو بكر: أمِّر القعقاع بن معبد بن

زرارة، قال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافك؛ فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما؛ فنزل في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ....﴾ حتى انقضت)[1].

بعدها قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ الحجرات: ٦.

ولعل هذه الآية تتناول نوعا آخر من أنواع التقديم بين يدي الله ورسوله؛ فقد جاء في سبب نزولها ما رواه الإمام أحمد من حديث الحارث بن أبي ضرار الخزاعي رضي الله عنه، قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه، وأقررت به، فدعاني إلى الزكاة، فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله، أرجع إلى قومي، فأدعوهم إلى الإسلام، وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، فيرسل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا لإبان كذا وكذا؛ ليأتيك ما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه؛ احتبس عليه الرسول؛ فلم يأته؛ فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله عز وجل ورسوله؛ فدعا بسروات قومه؛ فقال لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقت لي وقتا يرسل إلي رسوله؛ ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة كانت، فانطلقوا، فنأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلى الحارث؛ ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق؛ فرق؛ فرجع، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا رسول الله، إن الحارث منعني الزكاة، وأراد قتلي، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) صحيح البخاري ٥/ ١٦٨–كتاب المغازي –حديث رقم ٤٣٦٧. وقوله: "حتى انقضت"، يعني الآية الثانية، بقوله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ، وقيل الآية الثالثة، بقوله: ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ، وقيل الآية الخامسة، بقوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. انظر: فتح الباري لابن حجر ٨/ ٥٩١، وعمدة القاري للعيني ١٨/ ١٩.

البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث وفصل من المدينة، لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم، قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعته الزكاة، وأردت قتله قال: لا، والذي بعث محمدا بالحق، ما رأيته بتة، ولا أتاني فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " منعت الزكاة، وأردت قتل رسولي؟ " قال: لا، والذي بعثك بالحق ما رأيته، ولا أتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم، خشيت أن تكون كانت سخطة من الله عز وجل، ورسوله، قال: فنزلت الحجرات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ الحجرات: ٦ إلى هذا المكان: ﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ الحجرات: ٨ [١].

وأكثر المفسرين أن الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق [٢].

بل قال الحافظ ابن عبد البر: لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن أن الآية نزلت في الوليد [٣].

فأفادت الآية مع سبب النزول أن خبر الفاسق قد يكون مبناه على الظنون والأوهام، فتصديقه في خبره دون تثبت، قد يفضي إلى حكم، مخالف لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو نوع من أنواع التقديم بين يدي الله ورسوله.

أخرج الطبري في تفسير عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله: ﴿ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾، أي: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة [٤].

---

(١) المسند ٣٠/٤٠٣ – حديث رقم ١٨٤٥٩. قال الأرنؤوط ومن معه من محققي المسند عن هذا الحديث: حسن بشواهده دون قصة إسلام الحارث بن ضرار.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٧/٣٧٠، ومحاسن التأويل للقاسمي ٨/٥٢٢.

(٣) الاستيعاب ٤/١٥٥٣.

(٤) تفسير الطبري ٢٢/٢٧٢.

ولتفادي مثل هذا النوع من التقديم وما يترتب عليه من عواقب وخيمة، أمر الله عز وجل بالتثبت في خبر الفاسق وعدم التعجل، فقال: **فَتَبَيَّنُوٓاْ** .

"ثم **استطرد** القرآن في آيتين، للتنبيه إلى نوع من التقديم هو أقبحها، وهو تقديم الرأي والعقل على حكم الله ورسوله، فقال: ﴿ **وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ** ﴾.

وبيان ذلك أن الآية الأولى قد افتتحت بقوله: **وَٱعۡلَمُوٓاْ** لبيان عظم شأن ما تنبه له.

"والمقصود من التنبيه في قوله: **وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ** هو الامتنان على المؤمنين بهذا الرسول العظيم، الذي شرفهم الله به، وجعلهم أصحابه وأعوانه، وهذا يقتضي منهم وجوب تعظيمه صلى الله عليه وسلم ومحبته والاغتباط به، وكذا تعظيم أمره ونهيه، واتباع سنته وهديه على أكمل وجه.

"قال الحافظ ابن كثير:" وقوله**وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ** ، أي: اعلموا أن بين أظهركم رسول الله، فعظموه ووقروه، وتأدبوا معه، وانقادوا لأمره، فإنه أعلم بمصالحكم، وأشفق عليكم منكم، ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم، كما قال تعالى: ﴿ **ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ** ﴾ **الأحزاب: ٦** " اهـ [1].

"ثم بين لهم – جل وعلا في مقابل ذلك – مغبة تعظيمهم لآرائهم وتمسكهم بها، فقال: **لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ** ، أي: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل منكم ما تقولون له، ويعمل بآرائكم، لنالكم حرج شديد، ومشقة، في كثير من الأمور [2].

---

(١) تفسير ابن كثير ٧/ ٣٧٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢٢/ ٢٩٠، وتفسير ابن كثير ٧/ ٣٧٢.

"قال ابن عطية: "لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ" ، أي: لشقيتم وهلكتم، والعنت: المشقة، أي: لو يطيعكم أيها المؤمنون في كثير مما ترونه باجتهادكم وتقدمكم بين يديه" اهـ [1].

"ودل مجيء هذه الجملة بعد قوله: "وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ" على البون الشاسع بين ما يحكم الله به ورسوله، وهو عين المصلحة وسبب سعادة الدارين وبين ما يراه الصحابة ويقترحونه على الرسول الكريم من ما يظنون أنه يحقق لهم مصالحهم، وليس كذلك.

قال سهل بن حنيف: "اتهموا الرأي؛ فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره؛ لرددت، والله ورسوله أعلم" [2].

"فإذا كان هذا في الصحابة – الذين مدحهم القرآن وزكاهم وشهد لهم بالخيرية؛ فكيف بمن بعدهم، ممن هم دونهم بكثير، وقد شاع فيهم التفرق والاختلاف وتعظيم العقل وتقديمه على النقل.

"أخرج عبد بن حميد والطبري عن قتادة قال: "وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ... حتى بلغ "لَعَنِتُّمْ" ، هؤلاء أصحاب نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، لو أطاعهم نبيّ الله في كثير من الأمر؛ لعنتوا؛ فأنتم والله أسخف رأيا، وأطيش عقولا، فاتهم رجل رأيه، وانتصح كتاب الله؛ فإن كتاب الله ثقة لمن أخذ به وانتهى إليه، وإن ما سوى كتاب الله تغرير" [3].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/١٤٧.

(٢) صحيح البخاري ٥/١٢٨– كتاب المغازي – باب غزوة الحديبية – حديث رقم ٤١٨٩. وقوله: يوم أبي جندل، أي: يوم صلح الحديبية، وهو ابن سهيل بن عمرو، وذلك أنه لما أتى أو جندل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية؛ رده إلى أبيه لما جاء في طلبه. انظر عمدة القاري للعيني ١٧/٢٢٩.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/٢٩١، والدر المنثور ٧/٥٥٩.

"ثم بألطف استدراك[1] – بين عز وجل السبب الذي عصم به صحابة نبيه عن أن يعظموا آراءهم، فينتهي بهم إلى التقدم بها بين يدي الله ورسوله، فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾.

قال ابن القيم: " فتحبيبه سبحانه الإيمان إلى عباده المؤمنين هو إلقاء محبته في قلوبهم، وهذا لا يقدر عليه سواه، وأما تحبيب العبد الشيء إلى غيره؛ فإنما هو بتزيينه وذكر أوصافه وما يدعو إلى محبته. فأخبر سبحانه أنه جعل في قلوب عباده المؤمنين الأمرين: حبه، وحسنه الداعي إلى حبه. وألقى في قلوبهم كراهة ضده من الكفر والفسوق والعصيان" اهـ [2].

"فجمع لهم بين حب الإيمان وحسنه وجماله في قلوبهم، ثم قوى ذلك، وعززه ببغض كل ما من شأنه إضعاف هذا الحب أو تكديره. ولذا فصل فيه؛ فذكر أصول المكروهات: الكفر، والفسوق، والعصيان [3].

وأفاد شمول المكروهات للقول والعمل والاعتقاد أن الإيمان المحبب المزين هو كذلك يدخل فيه جميع أصوله وشعبه من أعلاها إلى أدناها؛ فيدخل فيه القول والعمل والاعتقاد، وأهم ذلك شدة محبتهم وتعظيمهم لله ورسوله، ثم تعظيمهم لأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم.

ويدخل في هذا التحبيب والتزيين ما أودع الله في قلوبهم من محبة الحق وإيثاره، وما آتاهم من العلم والحكمة، وبما ينصب على الحق من الشواهد، والأدلة الدالة على صحته، وقبول القلوب والفطر له، وبما يفعله تعالى بهم، من توفيقه للإنابة إليه [4].

---

(١) انظر: الكشاف ٣٦٢/٤، والتحرير والتنوير ٢٣٦/٢٦، وتفسير الحجرات والحديد لمحمد العثيمين ص٣٠.

(٢) شفاء العليل ص٥٧.

(٣) إذا اقترن الفسق بالعصيان؛ صار المراد بالفسق هو ارتكاب ما نهى الله عنه، والعصيان: هو عصيان أمره، كما قال الله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ التحريم: ٦. فالمعصية أخص بمخالفة الأمر، والفسق أخص بارتكاب النهي، ولهذا يطلق عليه كثيرا، كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾ البقرة: ٢٨٢، ويطلق كل منهما على صاحبه عند الانفراد. انظر: مدارج السالكين ٣٦٩/١.

(٤) انظر: تفسير السعدي ص٨٠٠.

فظهر بمجموع التحبيب والتزيين والتكريه عظيم منة الله عليهم، بما نالوه من كمال الاستسلام الظاهر والباطن لحكم الله ورسوله [1].

ولذا مدحهم، على طريقة الالتفات من الخطاب إلى الغائب، كالمشيد والمباهي بهم عند ملائكته وخاصة خلقه، فقال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [2].

والرشد هو: كمال العقل والرأي، وإصابة الحق في القول والعمل. فيعصمهم الله بهذا الرشد من التقدم بين يدي الله ورسوله. وهذا الرشد إنما نالوه؛ لأنهم بلغوا الغاية في كمال امتثالهم وإذعانهم لأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم.

فالرشد دليل على كمال الطاعة، ومن هذا الباب أمر النبي– صلى الله عليه وسلم للرجل المسيء في خطبته أن يقول: **(من يطع اللَّهَ ورسولَهُ فقدْ رَشَدَ، ومن يعصِ اللَّهَ ورسولَهُ فقد غَوَى)** [3].

وقد دل قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ على اختصاص الصحابة بهذه المنزلة، وكذلك كل من تفضل الله عليه بهذا التحبيب والتزيين والتكريه. ويدل أيضا على أن هذا الرشد هو ثمرة إذعانهم واستسلامهم التام لأمر الله ورسوله. والجميع هو محض فضل الله ومنته؛ فهذا الحب وهذا التزيين وهذا التكريه لم يكن في النفس ولا بحولها، ولكن الله وحده هو الذي تفضل ومن بذلك كله، فجعل العبد بسببه من الراشدين[4].

---

(١) انظر: تفسير آيات من القرآن الكريم لمحمد بن عبد الوهاب ص٣٥٣، وتفسير الحجرات والحديد لمحمد العثيمين ص٣٠.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٥/١٤٧.

(٣) الحديث رواه مسلم في صحيحه ٢/٥٩٤ – كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب تخفيف الصلاة والخطبة – حديث رقم ٨٧٠. والرشد ضد الغي، قال تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة: ٢٥٦.فمن لم يكنْ رشيدًا فهو إما غاوٍ وإما ضال، كما قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ النجم: ٢. وكلاهما عاص لله ورسوله، غير طائع. والفرق بينهما أن الغاوي: من تعمد خلاف الحق، والضال: من لم يتعمد. انظر: تفسير ابن رجب ١/٢٢١.

(٤) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ١/٢٣٦، وتفسير النسفي ٣/٣٥١، ونظم الدرر للبقاعي ١٨/٣٦٩.

ولذا أكد هذا المعنى، فقال بعدها: ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ، أي: هو يَجْ بمن يصلح لهذا الفضل ويزكو عليه وبه، ويثمر عنده، ﴿حَكِيمٌ﴾ ؛ فلا يضعه عند غير أهله، فيضيعه، بوضعه في غير موضعه، فهو جل وعلا يضع فضله، حيث تقتضيه حكمته [1].

* * *

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ٢٣٦/١.

الخاتمة

وفيها الخلاصة وأهم نتائج البحث

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فقد من الله علي بإنجاز هذا البحث المبارك، فأختمه بذكر خلاصة لأهم النتائج التي تم التوصل لها فيه:

الاستطراد ضرب من البديع الذي عده المصنفون في علوم القرآن من أفانينه.

الاستطراد لغة: هو الخروج من شيء، لغرض ما، يتصل به، ثم العود لذلك الشيء الذي خرج منه. ويعد هذا المعنى اللغوي أصلا للاستطراد الاصطلاحي، وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، ثم الرجوع إلى المعنى الأول.

تبين لي أن الاستطراد أنواع، والذي وقفت عليه منها ستة، أهمها النوع السادس، وهو موضوع هذا البحث، وهو نوع يرى الباحث أنه جديد في مبناه ومعناه.

هناك ثلاثة أنواع من البديع تقارب الاستطراد في معناه، وهي: حسن التخلص، والاعتراض، والإدماج. وتم تحرير الفرق بينها وبين الاستطراد.

تبين لي أن أكثر المفسرين عناية بالاستطراد سبعة: الزمخشري، وأبو حيان، وأبو السعود، وشهاب الدين الخفاجي، والألوسي، ومحمد عزة دروزة، والطاهر ابن عاشور.

وأكثر هؤلاء السبعة عناية بالاستطراد: الألوسي، وابن عاشور، ومحمد دروزة.

وقفت على أربعة عشر شاهدا من القرآن، تدل على نوع من الاستطراد جديد، وسميته: "الاستطراد؛ للتنويه بالأهم من جنس المهم في القرآن الكريم"، وجعلته عنوانا للبحث.

* * *

فهرس المصادر والمراجع

- **الإتقان في علوم القرآن:** لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، دار الفكر– لبنان.
- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب:** لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، دار الجيل– بيروت.
- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:** لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ،دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، ١٤١٥هـ، دار الفكر للطباعة والنشر– بيروت.
- **إعجاز القرآن:** لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب، تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الخامسة ١٩٩٧م، دار المعارف – مصر.
- **إعلام الموقعين عن رب العالمين:** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م، دار الكتب العلمية – بيروت.
- **البحر المحيط:** لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة ١٤٢٠هـ.
- **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة – القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب:** لعبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.
- **البديع في البديع:** لأبي العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، دار الجيل.
- **البديع في نقد الشعر:** لأبي المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري، تحقيق د. أحمد أحمد بدوي، د. حامد عبد المجيد، الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة.

- **بديع القرآن:** لابن أبي الأصبع المصري، تحقيق حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- **البرهان في علوم القرآن:** لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٣٩١هـ، دار المعرفة – بيروت.
- **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة:** لعبد المتعال الصعيدي، الطبعة السابعة عشر ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م، مكتبة الآداب.
- **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن:** لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري، تحقيق د. حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- **التحرير والتنوير من التفسير:** لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، ١٩٨٤هـ، الدار التونسية للنشر– تونس.
- **تفسير الإمام ابن رجب الحنبلي:** زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، جمع وترتيب أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الطبعة الأولى ١٤٢٢ – ٢٠٠١ م، دار العاصمة – المملكة العربية السعودية.
- **تفسير آيات من القرآن الكريم:** لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، تحقيق الدكتور محمد بلتاجي، جامعة الإمام محمد بن سعود– الرياض– المملكة العربية السعودية.
- **تفسير الحجرات – الحديد:** لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م، دار الثريا للنشر والتوزيع– الرياض.
- **التفسير الحديث:** لمحمد عزت دروزة، الطبعة ١٣٨٣هـ، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة.
- **تفسير القرآن الحكيم:** المعروف بتفسير المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني، ١٩٩٠م ،الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- **تفسير القرآن العظيم:** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع.

- **تفسير القرآن العظيم**: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق محمد حسين شمس الدين، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت.
- **تفسير القرآن العظيم**: لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية.
- **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب:** لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.
- **تفسير مقاتل بن سليمان**: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق أحمد فريد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية – لبنان– بيروت.
- **تهذيب اللغة**: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون مع آخرين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر – الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- **التوقيف على مهمات التعاريف:** لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ–١٩٩٠م، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة.
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة.
- **جامع البيان في تأويل القرآن**: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة.
- **الجامع الصحيح**: لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت.
- **الجامع لأحكام القرآن**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ، دار الكتب المصرية– القاهرة.

- **حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي:** لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، دار صادر – بيروت.
- **الحجة في القراءات السبع:** للحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ، دار الشروق – بيروت.
- **خزانة الأدب وغاية الأرب:** لابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تحقيق عصام شقيو،٢٠٠٤م، دار ومكتبة الهلال–بيروت، دار البحار–بيروت
- **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية:** لعبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، مكتبة وهبة.
- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:** لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم – دمشق.
- **الدر المنثور:** لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- **الزهد والرقائق لابن المبارك:** لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية – بيروت.
- **زهر الآداب وثمر الألباب:** لإبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني، دار الجيل– بيروت.
- **السبعة في القراءات:** لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي ،تحقيق: شوقي ضيف، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ، دار المعارف – مصر.
- **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة:** لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية.
- **سنن أبي داود:** لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي– بيروت.

- **شعب الإيمان:** لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد حامد، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣ م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.
- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل:** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطبعة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، دار المعرفة– بيروت– لبنان.
- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:** لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، دار العلم للملايين – بيروت.
- **صحيح الترغيب والترهيب:** لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة، مكتبة المعارف– الرياض.
- **صحيح مسلم:** لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- **صحيح مسلم بشرح النووي:** لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار الجيل، دار الأفاق الجديدة، بيروت – لبنان.
- **الصناعتين:** لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ١٤١٩هـ، المكتبة العنصرية – بيروت.
- **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز:** ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللّه، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، المكتبة العنصرية – بيروت.
- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه:** لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، دار الجيل.
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري:** لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ١٣٧٩هـ، دار المعرفة – بيروت.

- **فضائل القرآن:** لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، دار ابن كثير– دمشق – بيروت.
- **فقه اللغة وسر العربية:** لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، إحياء التراث العربي.
- **فيض القدير شرح الجامع الصغير:** لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الطبعة الأولى ١٣٥٦ه، المكتبة التجارية الكبرى – مصر.
- **القاموس المحيط:** لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.
- **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار:** لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي تحقيق كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى ١٤٠٩، مكتبة الرشد – الرياض.
- **الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها:** للإمام نصر بن علي بن محمد الشيرازي ،تحقيق: د.عمر حمدان الكبيسي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم – جدة.
- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- **لسان العرب:** لمحمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ، دار صادر – بيروت.
- **اللباب في علوم الكتاب:** لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:** لضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، تحقيق أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة.

- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، طبعة ١٤١٢هـ، دار الفكر – بيروت.
- **مجموع فتاوى ابن تيمية**: لأبي العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ومساعدة ابنه محمد، ١٤١٥هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- **محاسن التأويل**: لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، ١٣٩٥هـ، دار الكتاب الإسلامي– القاهرة.
- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.
- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**: لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق يوسف علي بديوي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، دار الكلم الطيب، بيروت.
- **المستدرك على الصحيحين**: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله أبي الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١، مؤسسة الرسالة.
- **معالم التنزيل**: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- **معاني القرآن وإعرابه**: لإبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، عالم الكتب – بيروت.
- **معاني القراءات للأزهري**: لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود– المملكة العربية السعودية.

- **معترك الأقران في إعجاز القرآن:** لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
- **المعجم الكبير:** لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، مكتبة العلوم والحكم –الموصل.
- **معجم مقاييس اللغة:** لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- **مفتاح العلوم:** ليوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب،
- ضبط وتعليق نعيم زرزور، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- **النشر في القراءات العشر:** لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.
- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:** للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، المكتبة التجارية – مكة، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.
- **النكت والعيون:** لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
- **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه:** لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨ م، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة.
- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد:** لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق عادل بن أحمد عبد الموجود وآخرون، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

* * *

81- Al-Baghdadi, Ali. *AL-Nukat Wal-Uyun*. Ed. Al-Sayyid Abdul-Raheem. Beirut: Dar Al Kotob Al Ilmiyah. Print.

82- Al-Maliki, Makki. *AL-Hidayah Ila Bulug Al-Nihayah Fi Elm Ma'anee Al-Quran Wa Tafseerih Wa Ahkamih, Wa Jumal Min Funun Ulumih*. A number of theses from College of Postgraduate Studies and Scientific, Research, University of Sharjah, under the supervision of Prof: Alshahid Albushaykhy Quran and Sunnah Research Group - College of Sharia and Islamic Studies - University of Sharjah., 2008 AD. Print.

83- Al-Wahidiy, Ali. Al-Waseet Fi Tafseer Al-Quran Al-Majeed. Ed. Adil Abdul-Mawjud And Others. First Edition ed. Beirut: Dar Al Kotob Al Ilmiyah, 1415. Print.

* * *

70- Al-Nasafiy, Abdullah. *Madarik Al-Tanzil Wa Haqaiq Al-Ta'weel*. Ed. Yusuf Badawiy. First Edition ed. Beirut: Dar Al Kalam Al Tayyeb, 1998. Print.

71- Al-Naysaburi, Muhammad. *Al-Mustadrak Ala Al-Sahihayn*. Ed. Mustafa Ata. First Edition ed. Beirut: Dar Al Kotob Al Ilmiyah, 1411. Print. Al-Shaybani, Ahmad, and Shuaib Al-Arnaut And Others. *Musnad Al-Imam Ahmad Bin Hanbal*. First Edition ed. Alresalah Foundation, 1421 AH. Print.

72- Al-Baghawi, Al-Husayn. *Ma'alim Al-Tanzil*. Ed. Muhammad Al-Namr, Uthman Dhameriyyah, and Sulayman Al-Harsh. Fourth Edition ed. Dar Taybah, 1417 AH. Print.

73- Al-Zajjaj, Ibraheem. *Ma'ani Al-Quran Wa I'erabuh*. First Edition ed. Beirut: Alam Al-Kutub, 1408 AH. Print.

74- Al-harawi, Muhammad. *Ma'anee Al-qira'at Li Al-Az'hariy*. First Edition ed. Research Center in College of Literature- KSU, 1412 AH. Print.

75- Al-Suyuti, Jalal Al-Deen. *Mu'tarak Al-Aqraan Fi I'ejaz Al-Quran*. First Edition ed. Beirut: Dar Al Kotob Al Ilmiyah, 1998 AD. Print.

76- Al-Tabarani, Sulayman. *Al-mu'jam Al-kabeer*. Ed. Hamdiy Al-Salafi. Second Edition ed. Mosul: Maktabah Al'Ulum Wal Hikam, 1404 AH. Print.

77- Zakariyya, Ahmad. *Mu'jam Maqayis Al-Lughah*. Ed. Abdul-Salam Harun. Dar Al-Fikr, 1979 AD. Print.

78- Al-Hanafi, Yusuf. *Miftah Al-Ulum*. Ed. Naeem Zarzur. Second Edition ed. Beirut: Dar Al Kotob Al Ilmiyah, 1987. Print.

79- Al-Jazariy, Shams Al-Deen. *Al-Nashra Fi Al-Qiraat Al-Ashr*. Ed. Ali Al Dhiba' Cairo: Al-Matba'ah Al-Tijariyyah Al-Kubra. Print.

80- Al-Biqa'i, Bur'han Al-Deen. *Nadhm Al-Dhurar Fi Tanasub Al-Ayaat Wa Al-Suwar*. Second Edition ed. Al-Maktabah Al-Tijariyyah, Makkah - Dar Al-Kitab Al-Islami, Cairo, 1413. Print.

59- Al-Abasiy, Abdullah. *Al-Kitab Al-Musannaf Fi Al-Ahaadeeth Wa Al-Aathaar*. Ed. Kamal Al-Hut. First Edition ed. Riyadh: Al-Rushd Bookstore, 1409 AH. Print.

60- Al-Shirazi, Nasr. *Al-Kitab Al-Muwadhih Fi Wujuh Al-Qira'at Wa Elaaliha*. Ed. Omar AL-Kubaisi. First Edition ed. Jeddah: Charitable Group for Quran Inculcation, 1414 AH. Print.

61- Al-Khawarizmi, Mahmuud. *Al-Kashaf an Haqaiq Al-Tanzeel Wa Uyun Al-Aqaweel Fi Wujuh Al-Ta'weel*. Ed. Abdul-Razzaq Al-Mahdi. Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi. Print.

62- Ibn Manzhur, Muhammad. *Lisan Al-Arab*. Third Edition ed. Beirut: Dar Sadir, 1414 AH. Print.

63- Al-Nu'mani, Siraj Al-Deen. *Al-Lubab Fi Ulum Al-Kitab*. Ed. Adil Al-Mawjud and Ali Mu'awwadh. First Edition ed. Beirut: Dar Al Kotob Al Ilmiyah, 1998 AD. Print.

64- Ibn Al-Atheer, Dhiya Al-Deen. *Al-Mathal Al-Sair Fi Adab Al-Katib Wa Al-Sha'er*. Ed. Ahmad Al-Hawfiy and Badawi Tibanah. Cairo: Dar Nahdet Misr. Print.

65- Al-Haythami, Al-Hafizh. *Majma' Al-Zawa'id Wa Manba' Al-Fawa'id*. Ed. Al-Iraqiy and Ibn Hajar. Beirut: Dar Al-Fikr, 1412 AH. Print.

66- Al-Haraniy, Ahmad. *Majmu' Fatawa Ibn Taymiyyah*. Ed. Abdul-Rahman Qasim and Muhammad Abdul-Rahman Ibn Qasim. King Fahd Complex for Printing the Holy Quran, 1415 AH. Print.

67- Al-Qasimiy, Muhammad. *Mahasin Al-Ta'weel*. Ed. Muhammad Uyun Al-Sud. First Edition ed. Beirut: Dar Al Kotob Al Ilmiyah, 1418 AH. Print.

68- Al-Andalusiy, Abdul-Haq. *Al-Muharrar Al-Wajeez Fi Tafsir Al-Kitab Al-Azeez*. Ed. The Scientific Council In Fes. Cairo: Dar Al-Kitab Al-Islami, 1395 AH. Print.

69- Al-Zar'ey, Muhammad. *Madarij Al-Salikeen Bayna Manazil Iyyaka Na'bud Wa Iyyaka Nasta'een*. Ed. Muhammad Al-Fiqqiy. Second Edition ed. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Araby, 1393 AH. Print.

47- Al-Albaniy, Muhammad. *Saheeh Al-Targeeb Wa Al-Tarheeb*. Fifth Edition ed. Riyadh: Al-Ma'arif Bookstore, n.d. Print.

48- Al-Naysaburiy, Muslim. *Saheeh Muslim*. Ed. Muhammad Abdul-Baaqi. Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, n.d. Print.

49- Al-Nawawi, Yahya. *Sahih Muslim Bi Sharh Al-Nawawi*. Beirut: Dar Al-Jeel - Dar Al-Afaaq Al-Jadeedah, n.d. Print.

50- Al-Askariy, Al-Hasan. *Al-Sena'atayn*. Ed. Ali Al-Bajawiy and Muhammad Ibraheem. Beirut: Al Maktaba Al Assrya, 1419 AH. Print.

51- Al-Talibiy, Yahya. *Al-Tiraz Li Asrar Al-Balagah Wa Ulum Haqaiq Al-I'ejaz*. First Edition ed. Beirut: Al Maktaba Al Assrya, 1423 AH. Print.

52- Al-Azdiy, Al-Hasan. *Al-Umdah Fi Mahasin Al-Shi'er Wa Aadaabih*. Ed. Muhammad Abdul-Hameed. Fifth Edition ed. Dar Al- Jeel, 1981 AD. Print.

53- Al-Ainy, Badrul-Deen. *Umdatu Al-Qaree Sharh Saheeh Al-Bukhari*. Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, n.d. Print.

54- Al-Shafi'ey, Ahmad. *Fathu Al-Bary Sharh Saheeh Al-Bukhari*. Beirut: Dar Almarifa, 1379 AH. Print.

55- Al-Bagdady, Al-Qasim. *Fadhail Al-Quran*. Ed. Marwan Al-Atiyyah, Muhsin Kharabah, and Wafa Taqiy Al-Deen. First Edition ed. Damascus-Beirut: Dar Ibn Katheer, 1995 AD. Print.

56- Al-Tha'alibiy, Abdul-Malik. *Fiqh Al-Lugah Wa Sirr Al-Arabiyyah*:. Ed. Abdul-Razzaq Al-Mahdiy. First Edition ed. Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, 2002 AD. Print.

57- Al-Qahiry, Zayn Al-Deen. *Faydh Al-Qadeer Sharh Al-Jami'e Al-Sageer*. First Edition ed. Al-Maktabah Al-Tijariyyah Al-Kubrah, 1356 AH. Print.

58- Al-Fayruzabadiy, Majd Al-Deen. *Al-Qamus Al-Muheet*. Ed. Department of Heritage Verification- Alresalah Foundation under the Supervision of Muhammad Al-Arqasuusiy. Eighth Edition ed. Beirut: Alresalah Foundation, 1426 AH. Print..

36- Abdul-Daim, Shihab AL-Deen. *AL-Durr Al-Masun Feefi Uluum Al-Kitab Al-Maknun*. Ed. Ahmad Al-Kharrat. Damascus: Dar Al-Qalam, n.d. Print.

37- Al-Suyuuty, Abdul-Rahman. *AL-Durr Al-Manthur*. Beirut: Dar Al-Fikr, n.d. Print.

38- Al-Bagdady, Shihab Al-Deen. *Ruhul-Ma'anee Fi Tafseer Al-Quran Al-Adheem Wa Al-Sab'e Al-Mathanee*. Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, n.d. Print.

39- Al-Mazury, Abdullah. *Al-Zuhd Wa Al-Raqaiq Li Ibn Al-Mubaraq. Ed. Habeeb Al-Rahman Al-A'dhamiy*. Beirut: Dar Al Kotob Al Ilmiyah, n.d. Print.

40- Al-Ansary, Ibraheem, and Abu Is'haq Al-Qayrawany. *Zahr Al-Aadab Wa Thamar Al-Albaab*. Beirut: Dar Al- Jeel, n.d. Print.

41- Al-Tameemy, Ahmad, and Abu Bakr Al-Bagdady. *Al-Sab'ah Fi Al-Qira'at*. Ed. Shawqy Dhayf. Second Edition ed. Dar Alma'arif, 1400 AH. Print.

42- AL-Albaniy, Nasirul-Deen. *Silsilat Al-Ahadeeth Al-Dhaeefah Wal-Mawdhu'ah Wa Atharuha Al-Sayyi Fil-Ummah*. First Edition ed. Riyadh: Dar Alma'arif, 1412 AH. Print.

43- Al-Sujistaaniy, Sulayman. *Sunan Abu Dawud*. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Araby, n.d. Print.

44- Al-Khurasaniy, Ahmad. *Shu'ab Al-Iman*. Ed. Abdul-Ali Hamid. First Edition ed. Rushd Bookstore in Riyadh, in Cooperation with Dar Alsalafiyah in Mumbai, 1423 AH. Print.

45- Al-Jawziyyah, Muhammad Bin Qayyim. *Shifa Al-Aleel Feefi Masa`il Al-qadha Wa Al-Qadar Wa Al-hikmah Wa Al-Ta'leel*. Beirut: Dar Almarifa, 1978 AD. Print.

46- Al-Farabiy, Ismaeel. *Al-Sihah Taj Al-Lugah Wa Al-Sihah Al-Arabiyyah*. Ed. Ahmad Attar. Fourth Edition ed. Beirut: Dar El Ilm Lilmalayin, 1987 AD. Print.

24- Al-Shafey, Fakhrul-Deen. *Al-Tafseer Al-Kabeer or Mafateeh Al-Gaeb*. First Edition ed. Beirut: Dar Al Kotob Al Ilmiyah, 1421 AH. Print.

25- Al-Balakhy, Muqatil Bin Sulayman. *Tafseer Muqatil Bin Sulayman*. Ed. Ahmad Fareed. First Edition ed. Beirut: Dar Al Kotob Al Ilmiyah, 1424 AH. Print.

26- Al-Azhary, Muhammad. *Tahdheeb Al-Lugah*. Ed. Abdul-Salam Harun, and Others. General Egyptian Foundation for Authoring and News- Al-Dar Al-Masriyah for Authorship and Translation, n.d. Print.

27- Al-Qahiry, Zaynul-Deen. *Al-Tawqeef Ala Muhimmat Al-Ta'areef*. First Edition ed. Cairo: Alam Al-Kutub 38 Abul-Khaliq Tharwat, 1990 AD. Print.

28- Al-Sa'ady, Abdul Rahman. *Tayseer Al-Kareem Al-Rahman Fi Tafseer Kalam Al-Mannan.* Ed. Abdul Rahman Al-Luwahiq. First Edition ed. Al-Risalah Foundation, 1420 AH. Print.

29- Al-Amaly, Muhammad. *Jami'e Al-Bayan Fi Ta'weel Al-Quran*. Ed. Ahmad Shakir. First Edition ed. Al-Risalah Foundation, 1420 AH. Print.

30- Al-Ja'fy, Muhammad. *Al-Jami'e Al-Saheeh*. Ed. Mustafa Deeb Al-Baga. Third Edition ed. Beirut: Dar Ibn Katheer, Al-Yamaamah, 1407 AH. Print.

31- Al-Qurtuby, Muhammad. *Al-Jami'e Li Ahkam Al-Quran*. Ed. Ahmad Al-Barduny and Ibraheem Atfish. Second Edition ed. Cairo: Dar Al-Kutub Al-Masriyah, 1384 AH. Print.

32- Al-Hanafy, Shihab Al-Deen. *Hashiyah Al-Shihab Ala Tafseer Al-Baydhawy, Al-Musammah: Enayah Al-Qadhee Wa Kifayah Al-Radhee Ala Tafseer Al-Baydhawy*. Beirut: Dar Sadir, n.d. Print.

33- Khalawayh, Al-Husayn. *Al-Hujjah Fi Al-Qira'at Al-sabe*. Ed. Abdul-Aal Mukrim. Fourth Edition ed. Beirut: Dar Al-Shuruq, 1401 AH. Print.

34- Al-Azrary, Taqiyy Al-Deen. *Khazanah Al-Adab Wa Gayah Al-Arib*. Ed. Esam Shaqyu. Beirut: Dar Al-Hilal- Dar Al-Bihar, 2004 AD. Print.

35- Al-Mat'any, Abdul-Adheem. *Khasais Al-Ta'beer Al-Qurany Wa Simatuh AL-Balagiyyah*. First Edition ed. Wahbah Library, 1413 AH. Print.

12- Al-Zarkashy, Muhammad. *AL-Burhan Fi Ulumil-Quran*. Ed. Muhammad Abul-Fadhl Ibraheem. Beirut: Dar Alma'rifah, 1391AH. Print.

13- Al-Saeedi, Abdul- *Muta'al. Bugyah Al-Eedhah Li Talkhees Al-Miftah Fi Ulum Al-Balagah*. Seventeenth Edition ed. Maktabah Al- Aadab, 2005 AD. Print.

14- Al- Masriy, Ibn Abu AL-Asba'e. *Tahreer Al-Tahbeer Fi Sina'at A-shi'er Wa Al-Nathr Wa Bayan I'ejaz Al-Quran*. United Arab Republic: Supreme Council for Islamic Affairs-Committee for the Revival of Islamic Heritage, n.d. Print.

15- Ashur, Muhammad Tahir. *Al-Tahreer Wa Al-Tanweer Min Al-Tafseer*. Al-Daru Al-Tunisiyyah, 1984 AD. Print.

16- Al-Hanbaly, Zayn Al-Deen, and Tariq Muhammad. *Tafseer Al-Imam Bin Rajab Al-Hambaly*. First Edition ed. Dar Al-Asimah, 2001 AD. Print.

17- Al-Najdi, Muhammad Bin Abdul-Wahab. *Tafseer Ayaat Minal-Quran Al-Kareem*. Ed. Muhammad Baltaajiy. Riyadh: Imam Muhammad Bin Saud U, n.d. Print.

18- Al-Uthaymeen, Muhammad. *Tafseer Al-hujurat- Al-Hadeed*. First Edition ed. Riyadh: Dar Al-Thurayah, 2004 AD. Print.

19- Daruuzah, Muhammad. *Al-Tafseer Al-Hadeeth*. Cairo: Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabiya, 1383 AH. Print.

20- Al-Husaeny, Muhammad. *Tafseer Al-Quran Al-Hakeem (Tafseer Al-Manar)*. General Egyptian Book Organization, 1990 AD. Print.

21- Al-Dimashqy, Ismaeel. *Tafseer Al-Quran Al-Adheem*. Ed. Sami Salamah. Second Edition ed. Dar Taybah, 1420 AD. Print.

22- Al-Dimashqy, Ismaeel. *Tafseer Al-Quran Al-Adheem*. Ed. Muhammad Shams Al-Deen. First Edition ed. Beirut: Dar Al Kotob Al Ilmiyah (Muhammad Ali Baydhun Publications), 1419 AD. Print.

23- Al-Razy, Abdul-Rahman. *Tafseer Al-Quran Al-Adheem*. Ed. Asad Al-Tayyib. Third Edition ed. Nazar Mustafa Al-Baaz Library, 1419 AD. Print.

Arabic References

1- Al-Suyuutiy, Jalal Al-Deen Abdul-Rahman. *Al-Itqan Fi Ulum Al-Quran*. First Edition ed. Dar Al-Fikr, 1416 AH. Print.

2- Al-Qurtuby, Yusuf Bin Abdullah. *Al-Istee'ab Fi Ma'rifah Al-As'hab*. Ed. Ali Muhammad Al-Bajawiy. First Edition ed. Beirut: Dar Al- Jeel, 1992 AD. Print.

3- Al-AMadiy, Muhammad. *Irshad Al- Aql Al-saleem Ila Mazaya Al- Kitab Al-Kareem*. Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, n.d. Print.

4- Al-shinqeethy, Muhammad Al-ameen. *Adhwa Al- Bayan Fi Eedhah Al-Quran Bi Al-Quran*. Ed.Department of Research and Studies Beirut: Dar Al-Fikr, 1415 AH. Print.

5- Al- Baqillany, Muhammad Bin Al- Tayyib. *The Inimitability of the Qur'an*. Fifth Edition ed. Dar Alma'arif, 1997 AD. Print.

6- Al-Jawziyyah, Ibn Qayyim. *I'elam Al-Muwaqqi'en an Rabb Al-Alameen*. Ed. Muhammad Abdul-Salam Ibraheem. First Edition ed. Beirut: Darul-Kutub Al-elmiyyah, 1991 AD. Print.

7- Al-Andalusiy, Abu Hayyan. *Al-Bahr Al-Muheet*. Ed. Sidqy Muhammad Jameel. Beirut: Dar Al-Fikr, 1420 AH. Print.

8- Al-Qadhi, Abdul-Fattah. *AL-Budur Al-Zahirah Fel- Qira'at Al-Ashr Al-Mutawaatirah Min Tareeqay Al- Shatibiyyah Wa Al- Durrah- Al-Qira'at Al-Shaddah Wa Tawjeehuhah Min Lugah Al-Arab*. Beirut: Darul-Kitab Al-Arabiy, n.d. Print.

9- Al-Abbasiy, Abdullah. *Al-Badee'e Fi Al- Badee'e*. First Edition ed. Dar Al-Jeel, 1990. Print.

10- Al-Sheezary, Usamah Bin Munqidh. *Al-Badee'e Fi Naqd Al- Shi'er*. Ed. Ahmad Badawiy and Hamid Abdul-Majeed. United Arab Republic: Ministry of Culture and National Guidance, n.d. Print.

11- Al- Masriy, Ibn Abu AL-Asba'e. *Badee'Al-Quran*. Nahdet Misr, n.d. Print.

Figures of Speech in the Holy Quran:
Digression Alluding to the Most Prominent Features in the Same Genus

Dr. Abdulaaziz Mohammed Al-Suhaybany
Department of the Holy Quran Studies – College of Fundamentals of Religion
Imam Mohammed Ibn Saudi Islamic University

Abstract:

This research study aimed to investigate one of the figures of speech in the Holy Quran with prime examples of a particular type that nobody has ever discussed or cited before. This study uncovers one of the consistencies among the verse and the sentences. Digression as defined by researchers and scholars of the Holy Quran is one of the figures of speech and unique subtleties. In terms of language, digression is to depart something for the sake of something else but much related to it then goes back to the first path of the discourse or meaning.

Digression falls into various types. I have investigated six types , and the most important one is the sixth type of digression. Therefore, I believe that this type of digression is new in its nature and kind.

There are three types of figures of speech that look very much like digression. They are: appropriate textual departure, textual parenthesis and textual conflation. The difference among these three types and digression was made clear.

It was clear for me that researchers who paid much attention to digression were seven people: Al-Zamakhshary, Abo Hayyan, Ano Al-Saud, Shehab Al-Deen Al-Khafagy, Al-Alousy, Mohammed Ezza Darouza and Al-Taher Ibn Aashoor. The people among those whopaid much attention to digression were Al-Alousy, Mohammed Ezza Darouza and Al-Taher Ibn Aashoor. I drew on 14 citations from the Holy Quran, which refer to a possibly new kind of digression. I therefore called it "Digression alluding to the most prominent features in the same genus in the Holy Quran".